العتبة العباسية المقدسة

محاضرات

في علم الأخلاق

تأليف

السيد محمد هادي الموسوي الخرسان

مراجعة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

وحدة الدراسات والتراث

١٢

العتبة العباسية المقدسة

محاضرات

في علم الأخلاق

تأليف

السيّد محمّد هادي الموسوي الخرسان

مراجعة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

شعبة الدراسات والنشرات

كربلاء المقدسة

ص.ب (٢٣٣)

هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الخرسان، محمدهادي محمدرضا

محاضرات في علم الاخلاق/ تأليف السيد محمدهادي الموسوي الخرسان ؛ مراجعة و تصحيح وحدة الدراسات والنشرات في العتبة العباسية المقدسة.- الطبعة الثانية.- كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤.

١٤٣ صفحة .- (قسم الشؤون الفكرية والثقافية.وحدة الدراسات والنشرات ؛ ١٢)

المصادر : ص.١٣٣-١٣٩ ؛ وكذلك في الحاشية

١. الاخلاق الإسلامية-الشيعة الامامية-مناهج. ألف. العتبة العباسية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. وحدة الدراسات والنشرات. ب. العنوان

BP188 .K3 2014

الكتاب: محاضرات في علم الأخلاق.

الكاتب:السيد محمّد هادي السيّد محمّد رضا الخرسان.

الناشر:قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة/ شعبة الدراسات والنشرات.

الإخراج الطباعي والتصميم: علاء سعيد الاسدي، محمد قاسم النصراوي.

التدقيق اللغوي: علي حبيب العيداني، موفق هاشم عجيل.

رقم التسجيل في دار الكتب والوثائق العراقية: ١٧٦٣ لعام ٢٠١٤م.

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.

الطبعة: الثانية

عدد النسخ:٢٠٠٠

رمضان المبارك ١٤٣٥-تموز ٢٠١٤

مقدمة الناشر

الحمد لله خالق السماوات والرضين الحي الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد ، وافضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا ومولانا قدوة المقتدين وافضل خلق الله اجمعين محمد بن عبد الله خاتم الانبياء والمرسلين عبد الله الذي اجتبى، ورسوله الذي اصطفى، أرسله إلى كافة الورى ، بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وعلى أهل بيته أئمة الهدى ومصابيح الدجى، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حيث جعل الله تبارك وتعالى التأسي بهم مفتاحا لرضوانه وطريقا واضحا إلى جنانه، بقوله جل جلاله ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ فهم الوسيلة إلى رحمته والطريق الى رضوانه صلوات الله وسلامه عليهم.

وبعد..

فمنذ العصور المتقدمة كتب الاعلام في علم الاخلاق ومكارمها وفضائلها فهي السبيل الى حفظ الانسان من شرور الشيطان والنفس الامارة بالسوء. فدأب اهل الايمان على الكتابة والبحث في هذه العلوم الشريفة التي تهذب الاقوال وتحسن الافعال وتحافظ على الخُلق الحسن الذي فيه طاعة الله تبارك وتعالى ومرضاته وحسن السيرة بين عباده . وقد شرّع الاسلام الحنيف في منهجه الاخلاقي تشريعا يشمل كل جوانب الحياة بما يصلح لكل زمان ومكان، وهي الغاية من بعث النبيين، مُبَيِّنا في قوله ﷺ : «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**» وأيده ﷺ من ابدع خلقه سبحانه و تعالى في محكم كتابه العزيز

بقوله :﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾.

ومن الكتاب العزيز والسنة المباركة عرف هذا العلم طريقه الى عقول المؤمنين وقلوبهم فلا تكاد مكتبة تخلو من الكتب الاخلاقية وصار هذا العلم مدار بحث في الحوزات والمدارس والجامعات لأهميته التي تهدي المسترشد بها الى الطريق الصحيح والسراط المستقيم .

وهذا جهد مبارك نقدمه بين يديك هو من توفيقات السيد محمد هادي الموسوي الخرسان – دام عزه – حيث قام بجمع محاضراته التي القاها على طلبة العلوم الدينية، لتكون كتابا ينتفع منه اهل العلم والعرفة والقارئ الكريم عموما .

وقد راعى المؤلف – ايده الله تعالى – في هذا الكتاب الذي بين يديك ، الطرق التي تسهل على القارئ وطلبة العلوم خاصة فهم المطالب والمدرك المحمود التي تضمنها هذا الكتاب بما يحتل هذا العلم من مكانة مرموقة، ومحلاً رفيعاً بين العلوم، لشرف موضوعه، وسمو غايته . فالأخلاق الفاضلة هي التي تحقق في الانسان معاني الانسانية الرفيعة.

ومن فيوض راعي الجود والخلق السامي، قمر الهواشم صاحب الفضل العباس بن علي عليه السلام نقدم لك ايه القارئ العزيز مساهمة قسم الشؤون الفكرية و الثقافية في العتبة العباسية المقدسة في نشر الرسالة الاسلامية المحمدية الحقّة فصار بين يدي القارئ العزيز هذه الكتاب التي نسأل الله تعالى ان يتقبل هذه العمل بقبول حسن ويوفقنا للاستمرارية في نشر الدعوى الحقة لإعلاء راية الايمان خفاقة، انه سميع مجيب.

الناشر

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

في العتبة العباسية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبيّنا الأعظم محمّد وآله الطاهرين.

وبعد:

فهذه محاضرات في علم الأخلاق رغبت في تدوينها حرصاً منّي على تأليف كتاب في علم الأخلاق ينسجم مع المراحل الدراسية وينتفع به من أراد الاطّلاع على الأخلاق الإسلامية، وراعيت فيها ذهنية الطالب والأُسلوب المعاصر في الحديث عن هذا العلم والكتابة فيه سائلاً المولى عزّوجلّ أن يجعلنا من العالمين العاملين.

ملحوظة: نستشهد بالروايات دون البحث في سندها مراعاة للمرحلة الدراسية.

بيروت

الاثنين ١٩/ شعبان/ ١٤٢٥هـ

٤/ ١٠/ ٢٠٠٤م

محمّد هادي السيّد محمّد رضا الموسوي الخرسان

عِلْمُ الأَخْلَاقِ

المقدّمة

تبحث المقدّمة:

أوّلاً: مصطلح (الأخلاق) لغةً واصطلاحاً وأسباب وجود الخُلُق و(علم الأخلاق) في الاصطلاح.

ثانياً: موضوع علم الأخلاق والغاية منه.

ثالثاً: مصادر علم الأخلاق.

رابعاً: علم الأخلاق النظري وعلم الأخلاق العملي.

خامساً: الأخلاق والآداب.

سادساً: الأخلاق وتهذيب النفس.

سابعاً: الأخلاق والتربية.

المقدّمة

أوّلاً: ١ - الأخلاق لغةً:

جمع الخُلُقِ والخُلْقِ أي: السجيّة والطبيعة يقال خُلُقٌ حسن وخليقة وهي ما خُلِقَ عليه من طبيعته، ويمثّل الخُلُقُ الصورة الباطنية للإنسان والتي هي عبارة عن نفسه وأوصافها ومعانيها المختصّة بها؛ فخُصّ الخُلُقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤] بينما خُصَّ الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر. قال تعالى: ﴿ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [الرعد/ ١٦] فالخَلقُ يمثّل الصورة الظاهرية للإنسان. وأصل الخَلقِ: التقدير المستقيم خلق الخياط الثوب قدّره قبل القطع وعليه التقدير الحاصل في ضبط الصورة الظاهرية للإنسان يقال له الخَلقُ وأمّا التقدير الحاصل في الصورة الباطنية للإنسان فيقال له الخُلُقُ[١].

٢ - الأخلاق اصطلاحاً:

الخُلُقُ والخُلْق في اصطلاح علماء الأخلاق هو: (حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة)[٢] كما عرّفه ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الأخلاق) وعرّفه ابن

---

(١) أُنظر: أساس البلاغة: الزمخشري، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م) دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ص١٧٣، مادّة خلق؛ لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣٠٠م) دار المعارف، ج٢، بتصرّف؛ مفردات الراغب: الأصفهاني، الحسين بن محمّد (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م) تح. نديم مرعشلي، بيروت، دار الفكر، ص٨٥٨، مادّة خلق بتصرّف.

(٢) تهذيب الأخلاق، إبن مسكويه، أحمد (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) تق. حسن تميم، ط٢، دار الحياة،

سينا بقوله: «ملكة يصدر بها عن النفس أفعال ما بسهولة من غير تقدّم روية»[١].

«والخُلُق : مَلَكةفي النفس تحصل من تكرر الأفعال الصادرةمن المرء على وجه يبلغ درجة يحصل منه الفعل بسهولة كالكرم، فإنه لا يكون خُلقاً للإنسان إلا بعد أن يتكرر منه فعل العطاء بغير بدل حتى يحصل منه الفعل بسهولة من غير تكلف».[٢]

والملكة هي كيفية نفسانية بطيئة الـزوال، بينما الحال هي كيفية نفسانية سريعة الزوال[٣] اتّفق ابن مسكويه وابن سينا في أنّ الخُلُق كيفية وهيئة راسخة تخصّ النفس واختلفا في درجة زواله عنها هل بطيئة أم سريعة؟

ولعلّ الاختلاف نجم عن لحاظ تمكّن الخُلُق في النفس فإن كان في أوّل درجات التمكّن فيها بحيث يزول سريعاً كمن يدرّب على فعل الكرم وحسن الظنّ بالآخرين فإنّه يزول سريعاً في الأيّام الأُولى فيكون حالاً بينما مع تقادم الأيّام وتوالي التمرين وكثرة الممارسة فيترسّخ لديه هذا الفعل حتّى يصبح ملكة.

٣ – أسباب وجود الخُلُق:

إنّ صدور الأفعال من الإنسان تارةً يكون طبيعياً ومن أصل المزاج، فبعض الأمزجة في أصل الخلقة مستعدّة للغضب والحزن بأدنى سبب وبعضها بالعكس وبعضها يكون معتدلاً بحيث يكون الإنسان كامل العقل فاضل الأخلاق كما في المعصومين عليهم السلام

بيروت، ص٥١.

(١) الشفاء، قسم الإلهيات: ابن سينا: أبو علي (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م) تق. د. إبراهيم مدكور، ج٢، ص٤٢٩.

(٢) المنطق: الشيخ المظفر، محمد رضا (ت ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) دار التعارف، بيروت،ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م،ج٣ ص٢٩٧

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: العلاّمة الحليّ، الحسن بن يوسف، ت ٧٢٦ مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٢٤٠، بتصرّف.

وتارةً يكون صدور الأفعال نتيجة للعادة والتدريب كالكرم والشجاعة فيفعل الإنسان فعلاً ما بالروية أو التكلّف ويصبر عليه حتّى يصير ملكة أو حالاً حسب درجة تمكّن الفعل في النفس فيصدر الفعل بسهولة فيقال حينئذ لدى هذا الإنسان خُلُقُ الكرم وخُلُقُ حسن الظنّ مثلاً[1] فمن يصدر منه بذل المال نادراً لا يقال خُلُقُه الكرم فليس الخُلُق مجرّد الفعل بل هو الفعل مع ثبوته في النفس، وقد يكون صدور بعض الأفعال نتيجة حادثة ما توجب عليه ممارسة فعل ما كخُلُق مَن يمرّ بتجرية مع الناس لا يساعدونه فيقرّر عدم التعاون مع الناس فيصدر عنه البخل والظلم.

وقد تمرّ به تجربة السجن والإحتجاز فيقرّر عدم الظلم فيصدر عنه العدل واحترام الغير وحُسْن الظن بالآخرين ثم إن المرض والشيخوخة قد يجعلان لدى الإنسان خلقاً سيئاً لضعف احتماله.

٤ – علم الأخلاق في الاصطلاح:

عرّف علم الأخلاق بتعاريف لعلّ أكثرها وضوحاً القول بأنّه: (مجموعة من المبادئ المعيارية التي ينبغي أن يجري السلوك البشري على مقتضاها أي أنّ مبادئ علم الأخلاق ترسم طريق السلوك الحميد وتحدّد أهدافه وبواعثه)[2].

---

(١) أُنظر: تهذيب الأخلاق (م.س) ص٢٥١؛ جامع السعادات: النراقي، الشيخ محمّد مهدي، (ت ١٢٠٩هـ)، تقديم محمّد رضا المظفّر، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٦، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١، ص٥٤ – ٥٥، بتصرّف.

(٢) فلسفة الأخلاق في الإسلام: مغنية، محمّد جواد(ت هـ/ ١٩٨٠م) دار الجواد، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص١٢، بتصرّف.

ثانياً: موضوع علم الأخلاق والغاية منه.

١ – موضوع علم الأخلاق:

يتعلّق البحث في علم الأخلاق بسلوك الإنسان والأفعال الصادرة عنه فيحكم عليها بأنّها خُلُق حَسَن أو خُلُق سيّئ فيهتمّ علم الأخلاق بتجويد أفعال الإنسان بما هو إنسان[١].

٢ – غاية علم الأخلاق:

الهدف من دراستنا لعلم الأخلاق هو حفظ الإنسان عن الخطايا في سلوكه بحيث يكون مستقيماً في قصده بلا رياء، وفي فعله بلا ظلم، وفي غرضه من خلال الإخلاص بعيداً عن الهوى والتقليد الأعمى ليسود العدل والأمن والتعاون في المجتمع وذلك لأنّ علم الأخلاق يتوخّى إصلاح الفرد والجماعة من خلال السير على الصراط المستقيم في السلوك وإلى هذه الغاية أشار ابن مسكويه بقوله: «إنّ الغاية من علم الأخلاق ترتيب قوى الإنسان وأفعاله بحيث تصدر الأفعال كلّها منتظمة ومرتبة كما ينبغي وينتهي الأمر إلى التدبير المدني الذي يرتّب الأفعال والقوى بين الناس حتّى تنتظم أفعال الناس جميعاً ويسعدوا سعادة مشتركة»[٢].

ثالثاً: مصادر علم الأخلاق:

يحوي علم الأخلاق قيماً إذا مارسها الإنسان استقام سلوكه الفردي والاجتماعي وهذا ما يبتغيه الدين في تشريعه الشامل لكافّة جوانب الحياة قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

(١) أُنظر: فلسفة الأخلاق في الإسلام (م.س) ص١٣؛ وتهذيب الأخلاق (م.س) ص٥٥.

(٢) تهذيب الأخلاق ابن مسكويه (م.س) ص٥٨، بتصرّف.

[الحديد/ ٢٥].

فالهدف من إرسال الرسل والغرض من إنزال الكتب السماوية والغاية من تنظيم الحياة وفق ما أراده الله تعالى هو إقامة الناس بالقسط وتحقيق العدالة. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء/ ١٣٥]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة/ ٨]. الآيتان الكريمتان تشتركان في طلب القيام بما أمر به الله تعالى والحثّ على القسط والعدل وتفترقان في أنّ الآية الأُولى أمرت بالقيام بالقسط مع الشهادة لله ابتغاءً لرضاه وتنهى عن الانحراف فيها اتّباعاً للهوى. بينما الآية الثانية أمرت بالقيام لله تعالى مع الشهادة بالقسط والعدل وتنهى عن الشهادة بغير العدل تحت تأثير الغريزة والعصبية انتقاماً من المشهود عليه(١) وعلى هذا فيعتبر:

١ - الدين:

هو المصدر الأساس للأخلاق القويمة حيث يدلّ القرآن الكريم والسنّة المباركة على الخصال الحميدة ويمنعان عن الرذائل والأعمال القبيحة فيدعوان معاً للتقوى والاستقامة على جادّة الشريعة الإسلامية. والدين هو المقصود بالفطرة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنّة المباركة ففي قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

---

(١) أُنظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السبزواري، عبدالأعلى(ت١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م) (د.ت)، ط. النجف، ج١، ص٦٨ - ٧٠.

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم/ ٣٠]، أمر الله تعالى النبي ﷺ وجميع المكلّفين بأن يوجّهوا عبادتهم إلى الله تعالى على الاستقامة فيها دون الشرك في العبادة وإنّ التوحيد هو ما فطر الله الناس عليه فخلقهم للتوحيد وعليه فلا تبديل لخلق الله أي دينه الذي أمر عباده باتّباعه وذلك التوحيد وما يستلزمه هو الدين القيّم والذي يجب اتّباعه ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنّه كذلك لابتعادهم عن الحقّ والنظر إليه والتفكّر[١]. فالفطرة تعني أنّ الإنسان (يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيّئ لقبول الدين فلو تُرِك عليها لاستمرّ على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها وإنّما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد)[٢] وفي الحديث المشهور بين الفريقين «**كلّ مولود يولد على الفطرة حتّى يكون أبواه يهوّدانه وينصّرانه ويمجّسانه**»[٣]....

والمعنى كلّ مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فلا تجد أحداً إلّا وهو يقرّ بأنّ له صانعاً وإن سمّاه بغير اسمه أو عبد معه غيره، فلو ترك عليها لاستمرّ على لزومها وإنّما يعدل عنها لآفة من التضليل كالتهويد والتنصّر والتمجيس[٤] والدين إيمان

---

(١) أُنظر: التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ) تح. أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٨، ص٢٤٧ - ٢٤٨.

(٢)النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير(ت٦٠٦هـ) تح. أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، مؤسّسة إسماعيليان، قم. ط٤، ١٣٦٧هـ. ش، مادّة فطر، ج٣، ص٤٥٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه: الصدوق، محمد بن علي(ت٣٨١هـ)تح. حسن الموسوي الخرسان، دار صعب، بيروت، ج٢، باب الخراج والجزية، ح٩٦، ص٢٦؛ ومسند أحمد: إبن حنبل، أحمد(ت٢٤١هـ) دار صادر، بيروت، ج٢، ص٢٣٣؛ وصحيح البخاري: البخاري، محمد بن اسماعيل(ت٢٥٦هـ) دار الفكر، بيروت، ج٢، ص٩٧؛ والتوحيد: الصدوق، محمد بن علي(٣٨١هـ)تح. هاشم الحسيني جماعة المدرّسين، قم، ح٩، ص٣٣٠ - ٣٣١.

(٤) مجمع البحرين: الطريحي، فخر الدين(ت١٠٨٥هـ)، تح. أحمد الحسيني، مكتبة المرتضوية، طهران، ١٣٧٥هـ. ش. ط٣، ج٢، ص٤٣٨ - ٤٣٩.

وعمل، فالإيمان إيمان بالله تعالى وصفاته وبنبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله وبآله الكرام عليهم السلام وباليوم الآخر والعمل عمل الطاعات واجتناب المعاصي وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد من قول الإمام عليه السلام في نهج البلاغة: «**وأمّا البراءة فلا تتبرّأوا منّي فإنّي ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة**»[١].

وقوله عليه السلام: «**وكلمة الإخلاص فإنّها الفطرة**»[٢]. وما أجاب به الإمام الصادق عليه السلام حين سُئل عن قول الله تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم/ ٣٠]، فقال: **التوحيد**. وفي بعض الروايات **أنّه تعالى فطرهم على المعرفة به**[٣] فالفطرة هنا تعني الجانب العقيدي وفي بعض الأخبار وردت الفطرة وتعني الجانب العملي المستحبّ تارةً مثل قوله عليه السلام خمس من الفطرة: «**تقليم الأظفار وقصّ الشارب ونتف الإبط وحلق العانة والاختتان**»[٤]. فهذه الأعمال هي ممّا فطر الناس عليها حيث كانت من سنن المرسلين السابقين فتوارثها الناس حتّى كأنّهم خلقوا عليها وتعني الجانب العملي الواجب تارةً أُخرى كزكاة الفطرة التي تدفع يوم الفطر وفيها أخبار كثيرة[٥].

فيظهر ممّا تقدّم أنّ الفطرة هي الدين في عقيدته وأعماله. فلا تجعل مصدراً قائماً برأسه مقابل الدين كما صنع الشيخ محمّد جواد مغنية حيث قال: «ومصدر علم الأخلاق كتاب الله وسنّة نبيّه وآله الأطهار والعقل والمشاهدة والفطرة وبعض الكتّاب يعبّر عنها

---

(١) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام، دار التعارف، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، رقم ٥٧، ص٥٢.
(٢) نهج البلاغة، (م.س)، ج١، رقم ١١٠، ص١١٥.
(٣) الكافي: الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٨هـ) تصح. علي أكبر الغفاري، دار صعب، بيروت، ١٤٠١هـ، ج٢، باب فطرة الخلق على التوحيد، ص١٢.
(٤) الخصال: الصدوق، محمد بن علي(ت٣٨١هـ)تح. علي أكبر الغفاري، جماعة المدرّسين، قم، باب الخمسة، ص٢١٠.
(٥) من لا يحضره الفقيه (م.س) ج٢، ص١١٤ – ١١٩.

بالجهاز الدقيق الموجود في داخل الإنسان يدرك تلقائياً الكثير ممّا يصلحه ويسعده ولا يشقيه ويفسده كحبّه للحرّية والمساواة وكراهيته للعبودية والمحاباة ورغبته في كلّ ما يوفّر له الحياة الفضلى ويجعله شيئاً مذكوراً. وبعض المؤلّفين يسمّي هذا الجهاز بقانون القلب الذي يدرك الشيء تلقائياً في مقابل العقل الذي ينتقل من مجهول إلى معلوم، من شاهد إلى غائب»[(١)].

فاعتبر الفطرة هي ما يدرك الإنسان بواسطته ما ينفعه وما يضرّه ونحن نرى أنّ هذا الجهاز الذي بواسطته يميّز الإنسان الصالح من الأُمور عن غيره هو القلب أو العقل العملي أو الضمير ممّا سنذكره في المصدر التالي تحت عنوان:

٢ – العقل السليم:

العقل هو: «غريزة يلزمها العلم بالضروريات عند سلامة الحواس»[(٢)]، أي إنّ الله تعالى خلق في الإنسان طبيعة وظيفتها العلم بالقضايا الضرورية إذا كانت الحواس سليمة ومنها تتكوّن المعرفة الصحيحة فنجد في الإنسان العاقل حين يلتفت إلى إنّ الواحد نصف الاثنين وإنّ الظلم قبيح يسلم بهما من دون مطالبة ببرهان فهذه الطبيعة والغريزة التي أودعها الله تعالى في الإنسان تارةً تسمّى روحاً لتوقّف حياة البدن عليها وتارةً أُخرى تسمّى عقلاً لأنّها بها يحصل إدراك المعقولات وثالثة يسمّى قلباً لتقلّبها في الخواطر والانفعالات[(٣)].

فالمسمّى واحد وهو ذلك الجوهر والطبيعة التي بها يكون الإنسان حياً وعاقلاً حيث أنّ الإنسان مركّب من بدن وروح. والاختلاف في التسميات حسب الوظائف

(١) فلسفة الأخلاق في الإسلام، مغنية (م.س) ص١٣.
(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد (م.س) ص٢٥١.
(٣) جامع السعادات، (م.س)، ج١، ص٦١، بتصّرف.

التي يقوم بها هذا الشيء وبعبارة أُخرى «إنّ الله خلق في قلب الإنسان «بما هو جسم» حسّاً وجعله حجّة عليه يدرك به محاسن الأفعال ومقابحها وذلك الحس هو الضمير بمصطلح علم الأخلاق الحديث وقد يسمّى بالقلب أو العقل العملي أو العقل المستقيم أو الحس السليم عند قدماء الأخلاق... فهذا الحس في القلب أو الضمير هو صوت الله المدوّي في دخيلة نفوسنا يخاطبها به ويحاسبها عليه ونحن نجد كيف يؤنّب مرتكب الرذيلة ويقرّ عين فاعل الفضيلة وهو موجود في قلب كلّ إنسان، وجميع الضمائر تتّحد في الجواب عند استجوابها عن الأفعال فهي تشترك جميعاً في التمييز بين الفضيلة والرذيلة وإن اختلفت في قوّة هذا التميّز وضعفه... نعم الإصغاء إلى صوت الضمير والخضوع له لا يسهل على كلّ إنسان إلّا بالانقطاع إلى دخيلة نفسه والتحوّل عن شهواته وأهوائه»[1]. ولا شكّ في أنّ العقل بما هو طبيعة في الإنسان يدرك بها الضروريات هو من الشرائط العامّة للتكليف ففي رواية محمّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**لمّا خلق الله العقل استنطقه ثمّ قال له أقبل فأقبل، ثمّ قال له أدبر فأدبر ثمّ قال وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منك ولا أكملتك إلّا فيمن أُحب أما أنّي إيّاك آمر وإيّاك أنهى وإيّاك أُعاقب وإيّاك أُثيب**»[2].

فالله تعالى يحاسب الإنسان العاقل على أعماله من خلال أنّه كلّفه بها بعد إدراكه لها. ثمّ إنّ القضايا التي يدركها العقل في الجانب الأخلاقي:

تارةً، يذعن بها العقل ولا دليل عليها إلّا تطابق آراء العقلاء على العمل بها حفظاً للنظام العام نحو حسن العدل وقبح الظلم وهذه تسمّى بالتأديبات الصلاحية.

---

(١) المنطق، (م.س)، ج٢، ص٢٩٧.

(٢) وسائل الشيعة: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن(ت١١٠٤هـ) تح. مؤسّسة آل البيت، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ب٣، من أبواب مقدّمة العبادات، ص٣٩.

وتارةً أُخرى، تتطابق آراء العقلاء على آداب معيّنة من أجل الخلق الإنساني كحسن الشجاعة وقبح الجبن ووجوب المحافظة على الحرم والوطن وهذه تسمّى بالخلقيات.

وتارةً ثالثة، يقبل العقلاء أُموراً بسبب انفعال نفساني عام كالرقّة والرحمة فيدرك العقلاء قبح تعذيب الحيوان ويذمّون فاعله كما أنّهم يمدحون معين الضعفاء والمرضى وتسمّى بالانفعاليات.

وتارةً رابعة، يقبل العقلاء آداباً معيّنة بسبب جريان العادة كاحترام القادم بالقيام والرجل الديني بتقبيل يده وتسمّى بالعاديات ولذا نرى أنّ الشارع المقدّس حرّم لباس الشهرة والظاهر أنّ سرّ التحريم هو أنّ لباس الشهرة يدعو إلى اشمئزاز الجمهور من اللابس وذمّهم له وهذا ممّا يدعو إلى الفرقة بين الجماعات وكذا منع الشارع المقدّس من منافيات المروّة على أساس مضرّتها في العدالة كالأكل حال المشي في الطريق العام لشخص ليس من عادة صنفه ذلك[1] وهناك مصدر آخر وهو:

٣ - «الدراسات الإنسانية في النفس والمجتمع بشرط ألّا تتنافى مع مبادئ الشريعة الإسلامية وقيمها».[2]

فأبحاث علم النفس وعلم الاجتماع لها دورٌ في ترسيخ قيم أخلاقية لدى الإنسان بشرط أن تكون منسجمة مع الشريعة الإسلامية ونحن نعتبر هذه الدراسات معينة على التحلّي بالأخلاق القويمة لا أنّها مصدر آخر مقابل الدين والعقل فدور هذه الدراسات الإنسانية تحليل الشخصية والمجتمع وتحديد الأمراض النفسية والاجتماعية التي يعانيها الإنسان ثمّ تشخيص العلاجات، وتكون هذه الحلول مقبولة بشرط انسجامها مع الشريعة الإسلامية، نعم قد تكون مصدراً للأخلاق لدى بعض الأقوام الذين يتأثّرون

---

(١) المنطق: المظفّر، محمد رضا(م.س) ج٣، ص٢٩٤ - ٢٩٩، بتصّرف.

(٢) دروس في العقيدة والأخلاق: النفّاخ، حسن، دار الإسلام، لندن، ص٢٢٠.

بها دون الدين والعقل كالعلمانيين الذين يستوحشون من كلمة الدين ويناقشون في بعض القضايا العقلية، ولكنّهم يستجيبون لنصائح علوم النفس والاجتماع والاقتصاد وغيرها من الدراسات الإنسانية.

رابعاً: علم الأخلاق النظري والعملي

علم الأخلاق النظري:

ويبحث عن أُسس الخير المطلق وفكرة الفضيلة بغضّ النظر عن المصاديق الخارجية.

علم الأخلاق العملي:

ويبحث عن المصاديق الخارجية لمعاني الخير والفضيلة وكلّ الأخلاق الحميدة فمثلاً:

١ - العدل: هو إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، ومصاديقه: عدم ظلم الزوجة، والرفق بالحيوان وطاعة الوالدين.

٢ - الظلم، هو سلب ذي الحقّ حقّه ومصاديقه: منع الزوجة حقّها ومهرها وغصب أموال الآخرين.

٣ - الفضيلة: هي خُلق يمثّل مزيّة للنفس بينما الرذيلة هي خُلُق يوجب منقصة لها وهذا كفكرة مجرّدة وأمّا مصاديقها: فمصاديق الفضيلة: الكرم، والشهامة، والعفّة... ومصاديق الرذيلة: السبّ، سوء الظنّ بالآخرين، والغيبة....

فما يدلّنا على الإرشاد والإدراك هو العقل النظري والعلم النظري ويكون بمنزلة المشير الناصح بينما العقل العملي والعلم العملي هو بمنزلة المنفّذ لما يشير به العقل النظري.

فعلم الأخلاق النظري وسيلة وأداة للعمل بما تقتضيه قواعد الأخلاق فلولا العلم

بقواعد الأخلاق ومسائلها لما أمكن التطبيق[(١)].

خامساً: الأخلاق والآداب:

الأخلاق كما عرفنا هي الملكات النفسية التي تصدر عنها الأفعال الحسنة أو الأفعال القبيحة فالأخلاق صفات نفسية كالكرم والبخل والصبر والجزع.

وأمّا الآداب فهي جمع الأدب ويوصف بهذه الكلمة الفعل الحسن فهي بمثابة الهيئة فالفعل الذي يقبل الاتّصاف بالهيئة الحسنة وبضدّها يسمّى الاتصاف بالهيئة الحسنة أدباً فالمدرّس والدرس يمكن اتّصاف كلّ منهما بالحسن وبضدّه فيسمّى حسن كلّ من هذين أدباً بينما الشمس في إشعاعها مثلاً فلا يسمّى فعلها أدباً لصدور الفعل عنها بلا اختيار فلا يوصف بالحسن أو ضدّه. فالآداب هيئات حسنة أو ظريفة للأفعال الموصوفة بهذه الهيئات ويمكن وصفها بضدّها فمثلاً بذل الطعام مظهر للكرم، والكرم هو الملكة النفسانية وصفة نفسية يصدر عنها بذل الطعام بدون تفكّر. ويصحّ أن يوصف بذل الطعام بالحسن وبضدّه فهيئته الحسنة يقال لها أدب ولذا نجد التعابير التالية: آداب الطعام وآداب اللقاء وآداب الدرس فالآداب مجموعة التزامات ونظم تجعل الأفعال المتعلّقة بالمعاشرة متّصفة بالحسن[(٢)] فالآداب تلحظ الصورة والهيئة الحسنة للفعل أي إخراج الفعل بهيئة حسنة وأمّا الأخلاق فتتعلّق بصدور الفعل الحسن وترك الفعل القبيح بلا كلفة ودائماً.

سادساً: الأخلاق وتهذيب النفس:

بما أنّ الغاية من دراسة علم الأخلاق هي صدور الأفعال الحسنة بسرعة وبلا

---

(١) أُنظر: جامع السعادات: النراقي، (م.س)، ج١، ص٩١؛ فلسفة الأخلاق في الإسلام: مغنية، (م.س)، ص٥٤.

(٢) من هدي النبي صلى الله عليه وآله والعترة عليهم السلام في تهذيب النفس وآداب العشرة: البهادلي، أحمد كاظم، شركة حسام، بغداد، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م، ج٢، ص١٣ - ٣٣، بتصرّف.

رويّة وتكون هيئة راسخة في النفس وبهذا يتمّ تهذيب النفس والذي يعني تصفية النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل وبعد ذلك تحصل التجلّية وهي تلقّي النفس للفيوضات الإلهية واستعدادها للأنوار الربّانية وصدق الله وهو أعزّ قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس/ ٧-١٠]. فحين يغلب العقل على القوى الثلاث للنفس وهي:

١ – القوّة السبعية.

٢ – القوّة البهيمية.

٣ – القوّة الشيطانية.

تكون هذه القوى الثلاث مؤتمرةً بأمره فتصلح النفس وقواها وأمّا إذا لم يغلب العقل عليها فيحصل التدافع بين هذه القوى وبين العقل ويؤدّي هذا التدافع إلى هلاك النفس[1]، ويحسن بنا التعرّف على قوى النفس وهي أربع قوى:

١ – قوّة عقلية (عاقلة) ملكية:

وظيفتها إدراك حقائق الأُمور والأمر بالأفعال الجميلة والنهي عن الصفات الذميمة. والتمييز بين الخير والشرّ. وفائدتها: السيطرة على القوى الثلاث الأُخرى للنفس.

٢ – قوّة غضبية سبعية:

وظيفتها صدور أفعال السباع كالغضب والبغضاء والأذى. وفائدتها: السيطرة على القوّتين الشهوية والشيطانية حين لا يستجيبان للقوّة العاقلة بسهولة، وذلك أنّها تثير الغيرة والحميّة فتتمّ السيطرة على الشهوة أو الأذى مثلاً كما في الامتناع عن ممارسة شهوة البطن أو الفرج أو الأذى من باب الحميّة أو الغيرة على نفسه أو عرضه.

(١) جامع السعادات (م.س) ص٦٥ – ٦٦، بتصّرف.

٣ – قوّة شهوية بهيمية:

وظيفتها صدور أفعال البهائم كالحرص (الاهتمام المبالغ فيه) على شهوتي الفرج أو البطن. وفائدتها: بقاء البدن وبه يحصل كمال النفس إذ مع سقم البدن أو تلفه لا يمكن تحصيل كمال النفس.

٤ – قوّة وهمية شيطانية:

وظيفتها، تحصيل وجوه المكر والحيل والبحث عنها والتوصّل إلى الأغراض المقصودة للإنسان بالخدع. وفائدتها: إدراك المعاني الجزئية، واستنباط الحيل والوظائف توصّلاً للمقاصد الصحيحة.

وهذه القوى الثلاث الأخيرة هي المقصودة: بالنفس المطمئنّة واللوّامة والأمّارة بالسوء التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كوصف للنفس الإنسانية وذلك على أساس ملاحظة دور هذه القوى الثلاث ودور القوّة العاقلة: فإن غلبت القوّة العاقلة هذه القوى الثلاث سمّيت النفس بالمطمئنّة لسكونها تحت الأوامر والنواهي في الشريعة الإسلامية. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر/ ٢٧ – ٣٠] فيكون جزاؤها الجنّة. وإن كانت القوّة العاقلة مغلوبة وكان بين القوى الثلاث تنازع وتدافع صارت النفس الإنسانية مغلوبة بارتكاب المعاصي حيث أنّ كلّ قوّة من القوى الثلاث إذا لم تنضمّ تحت رعاية القوّة العاقلة لا يمكن السيطرة عليها ويمكن حينئذ صدور المعاصي من الإنسان، فإن حصلت حالة اللوم والندامة للنفس بسبب صدور المعاصي سمّيت النفس باللوّامة قال تعالى: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة/ ٢]. وإن لم تحصل حالة اللوم وصارت النفس مذعنة لشهواتها سمّيت النفس بالأمّارة بالسوء قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ

﴿ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف/ ٥٣]. فعلى الإنسان العاقل أن يجهد لتغليب القوّة العاقلة ولا ييأس من رحمة ربّه تعالى وشموله برعاية الله عزّ وجلّ له[١] فالله تعالى هو القائل: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت/ ٦٩]. ففي تفسير التبيان: يعني جاهدوا الكفّار بأنفسهم وجاهدوا نفوسهم بمنعها عن المعاصي، وإلزامها فعل الطاعة لوجه الله، ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ أي نرشدهم السبيل الموصل إلى الثواب وقيل معناه لنوفّقهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم...، ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي ناصر الذين فعلوا الأفعال الحسنة، ويدفع عنهم أعداءهم[٢].

وجاء في الحديث النبوي: «**من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم**»[٣]، كما جاء فيه «**أنّ لربّكم في أيّام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها**»[٤] والنفحة هي العطية.

والخلاصة: أنّ عمل الإنسان بما علمه من التكاليف الإلهية يورثه علم ما لم يعلمه من المعارف فتفتح له أبواب المعرفة التي كانت مغلقة عليه ولأجل تحصيل هذه الحالة لابدّ من تطهير القلوب لتكون محلاً وأهلاً لعطايا الله ونفحات الربّ تعالى شأنه. فالرحمة الإلهية مبذولة لمن يريد الحصول عليها ولا تتوقّف عند فريق دون آخر ولكنّها مشروطة بشرط صفاء القلوب من الغشاوة والكدورة الحاصلتين بفعل المعاصي وبتأثير الرذائل عصمنا الله جميعاً من فعل المعاصي وجنّبنا الأخلاق الرذائل إنّه سميع مجيب.

فالعلاقة بين الأخلاق وتهذيب النفس علاقة مطّردة فكلّما كانت درجة تطبيق

(١) جامع السعادات (م.س) ج١، ص٦٢ – ٦٤، بتصّرف.
(٢) التبيان في تفسير القرآن (م.س) ج٨، ص٢٢٦.
(٣) تفسير الصافي: الفيض الكاشاني، محسن(ت١٠٩١هـ)مط، آرمان، طهران، ١٤١٥هـ، ج٤، ص١٢٣.
(٤) جامع السعادات (م.س) ج١، ص٤٤.

الأخلاق عالية كان تهذيب النفس عالياً كذلك والعكس صحيح إلّا أنّ الفرق في مدى الأثر المرجو من كلّ منهما فدائرة أثر الأخلاق تتّسع لسلوك الفرد والمجتمع والهدف منها جعل السلوك البشري حميداً، بينما الأثر من تهذيب النفس يقتصر على الفرد نفسه لأنّه المعني بعملية التهذيب.

سابعاً: الأخلاق والتربية

تقدّم معنا أنّ الأخلاق الإسلامية بصدد جعل الإنسان في حالة تصدر عنه الأخلاق الحسنة ويمتنع معها عن الأخلاق الذميمة بنحو آلي وشكل سلس وذلك من خلال التدريب والتعوّد على ممارسة الأفعال الحسنة وترك الأفعال القبيحة.

ومن المعلوم إنّ التربية الإسلامية تهتمّ بالإنسان من حيث جعله إنساناً متكاملاً روحاً وبدناً فلذا نجد التربية الإسلامية تشمل التربية الدينية والخلقية والعلمية والبدنية وسائر النواحي. وذلك لأنّ الإسلام نفسه يمثّل بلوغ الكمال الديني فهو خاتم الأديان وأكملها... قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة/ ٣][١]. فالعلاقة بين الأخلاق والتربية في الإسلام تمثّل ترابطاً فلا تربية بدون أخلاق بل إنّ تقويم الأخلاق من مهمّات التربية الإسلامية، فالأخلاق الإسلامية تمثّل التربية الخُلقية والتي هي من فروع التربية الإسلامية.

وفي ختام المقدّمة أُشير إلى أبحاث وردت في علم الأخلاق تتحدّث عن علاقة الفنّ بالأخلاق وعلاقة السياسة بها، رأيت تركها لفرصة أُخرى تقديراً للمنهج وإفساحاً في المجال لأبحاث أكثر فائدة لهذه المرحلة.

---

(١) الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية: سهام مهدي جبّار، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص٧٢.

المبحث الأوّل

الأخلاقُ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ والسُنَّةِ المُبارَكَةِ والأدَبِ العَرَبِي

البحث الأول : الأخلاق في القرآن الكريم.

البحث الثاني : الأخلاق في السنة.

البحث الثالث : الأخلاق في الأدب العربي.

البحث الأول :

الأخلاق في القرآن الكريم

لم ترد كلمة (الأخلاق) في القرآن الكريم نعم وردت كلمة (الـخُلُق) في موضعين:

الموضع الأوّل: بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤].

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء/ ١٣٧]، ويحسن التعرّف على معنى (الـخُلُق) و (الـخَلْق).

الخُلُق: هو السجيّة والطبع وما يجري عليه المرء من عادة لازمة[1].

الخَلْق: في القرآن الكريم ورد بمعانٍ هي:

أ – إبداع الشيء من غير أصل ولا محاكاة لمثال قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [الأنعام/ ٧٣]، وهذا لا يكون إلّا لله تعالى.

ب – إيجاد الشيء من الشيء وتصوير الشيء قال تعالى: ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ [النساء/ ١]، أي أوجدكم من نفس واحدة وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ﴾ [المائدة/ ١١٠] أي تصوّر من الطين كهيئة الطير بإذن الله تعالى ويقع التصوير من غير الله تعالى.

ت – الكذب وافتعال الكلام قال تعالى: ﴿ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴾ [العنكبوت/ ١٧]،

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم: مجمع اللغة العربية، طبع ايران، ١٣٦٣هـ. ش، م١، ص٣٦١.

أي تفتعلون الكذب[١] وبعد التعرّف على معنى كلمة (الخُلُق) ومعنى كلمة (الخَلْق) نذكر نماذج لتفسير الآيتين:

أمّا قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤]، فقد جاء في تفسير التبيان: «ثمّ وصف النبي صلى الله عليه وآله فقال: ﴿ وَإِنَّكَ ﴾ يامحمّد ﴿لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، قال الحسن: على دين عظيم وهو الإسلام.

وقيل أدب القرآن... فالخُلُق المرور في الفعل على عادةٍ، فالخُلُق الكريم: الصبر على الحقّ وسعة البذل وتدبير الأُمور على مقتضى العقل وفي ذلك الرفق والأناة والحلم والمداراة ومن وصفه الله بأنّه على خُلُق عظيم فليس وراء مدحه مدح»[٢].

وجاء في الكشّاف إنّ الله عز وجل «استعظم خُلُقه لفرط احتماله الممضات[٣] من قومه وحسن مخالطته ومداراته لهم وقيل هو الخُلُق الذي أمره الله تعالى به في قوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف/ ١٩٩]»[٤].

وفي تفسير الصافي أشار إلى سبب المدح بقوله: «إذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله غيرك»[٥].

وروى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إنّ الله عزّ وجلّ أدَّب نبيّه على محبّته**

(١) أُنظر: مفردات الراغب الأصفهاني (م.س) ص١٥٨ - ١٥٩؛ معجم ألفاظ القرآن الكريم (م.س) م١، ص٣٥٥ - ٣٦١.
(٢) التبيان (م.س) ج١٠، ص٧٥.
(٣) مضني الهم وأمضني: أحرقني وشقّ عليّ؛ لسان العرب(م.س) ج٦، ص٤٢٢٠.
(٤) الكشّاف: الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ/ ١١٤٤م) مكتب الإعلام الإسلامي، م٤، ص٥٨٥.
(٥) تفسير الصافي(م.س) ج٥، ص٢٠٨.

فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾». وفي رواية أُخرى: «**إنّ الله عزّوجلّ أَدَّب نبيّه فأحسن أدبه فلمّا أكمل له الأدب قال:** ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾»[1].

وجاء في كتاب في ظلال القرآن «فيمجِّد [الله] بهذا الثناء نبيّه صَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه كما يمجّد به العنصر الأخلاقي في منهجه الذي جاء به هذا النبي الكريم... ثمّ إنّها ليست فضائل مفردة: صدق وأمانة وعدل ورحمة... إنّما هي منهج متكامل تتعاون فيه التربية التهذيبية مع الشرائع التظيمية وتقوم عليه فكرة الحياة كلّها واتّجاهاتها جميعاً وتنتهي في خاتمة المطاف إلى الله لا إلى أي اعتبار آخر»[2]، فالمدح كان لنبيّنا محمّد صَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِه على خُلُقه العظيم وللمنهج الأخلاقي الذي أراد للمسلمين أن يسيروا على هديه وأن يطبّقوه في جميع نواحي حياتهم ليفوزوا برضوان الله تعالى وبنعيم الآخرة.

وأمّا قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء/ ١٣٧]، فقد قُرِئ قوله تعالى (خلق) بأكثر من وجه وذلك كما جاء في التبيان: «فمن قرأ بفتح الخاء أراد ليس هذا إلّا اختلاق الأوّلين... ومن ضمّ الخاء واللام، أراد: ليس هذا إلّا عادة الأوّلين في أنّهم كانوا يحيون ويموتون»[3].

وبتفصيل لهذا القراءات لكلمة (خُلُق) نقرأ ما ورد في تفسير الكشّاف: «من قرأ خَلْقُ الأوّلين بالفتح فمعناه: إنّ ما جئت به اختلاق الأوّلين وتخرّصهم [أي كذبهم] كما قالوا أساطير الأوّلين أو ما خَلْقنا هذا إلّا خلق القرون الخالية [الماضية] نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ

(١) الكافي: الكليني، محمّد بن يعقوب (ت: ٣٢٨هـ) تصح. علي أكبر الغفاري، دار التعارف، ط٤، ١٤٠١هـ، ج١، ح١، ص٢٦٥.

(٢) في ظلال القرآن: قطب،سيد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، م٨، ج٢٩، ص٤٩.

(٣) التبيان:الطوسي (م.س) م٨، ص٤٦.

عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴾ [الشعراء/ ١٣٥]؛ ومن قرأ خُلُق بضمّتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين إلّا خُلُق الأوّلين وعادتهم كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون. أو ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت إلّا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر أو ما هذا الذي جئت به من الكذب إلّا عادة الأوّلين كانوا يلفّقون مثله ويسطّرونه»[١].

فالملاحظ في هذين التفسيرين هو الحديث عن معنى الآية بحسب اختلاف القراءتين ولكن في كتاب في ظلال القرآن اعتمد قراءة ضمّ الخاء وفسّر الآية بقوله: «فحجّتهم فيما هم عليه وفيما يستنكره هود أنّه خُلُق الأوّلين ونهجهم وهم يسيرون على نهج الأوّلين»[٢] وعادتهم في تكذيب الأنبياء.

والنتيجة إنّ قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ سواء قرئت (خُلُق) بضمّ الخاء أو فتحها يشير إلى الأخلاق التي كانت سائدة لدى الأُمم حين يأتيها نبي مرسل من قبل الله تعالى بشرائع ربّه فيبادرون إلى تكذيبه وأنّهم على طريقة آبائهم في ردّ الدعوة أو أنّ المعنى أنّ الأنبياء يكذبون - والعياذ بالله - كما كذب السابقون منهم فلذا لا يستجيبون إلى دعوتهم. هذا الحديث كان حول ورود كلمة (الأخلاق) وجذرها اللغوي في القرآن الكريم. كما أشار القرآن الكريم إلى الأخلاق بمفرداتها كالغيبة والكذب والتقوى والعفّة وغيرها سنذكر نماذج لهذه الأخلاق الواردة في القرآن الكريم ويقع الحديث المفصّل حولها في الفصول اللاحقة إن شاء الله تعالى.

تقدّم معنا أنّ الأخلاق الإسلامية تهتمّ بسلوك الإنسان الفرد والمجتمع وهذا ما

---

(١) الكشّاف (م.س) ج٣، ص٣٢٧.

(٢) في ظلال القرآن (م.س) م٦، ج١٩، ص١٠٤.

نلاحظه في حديث القرآن الكريم عن سلوك الفرد وأخلاقه مع ربّه ومع نفسه ومع مجتمعه وعلى هذا فيمكن أن نذكر العناوين التالية لحديث القرآن الكريم عن الأخلاق:

١ – أخلاق الإنسان مع الله تعالى.

٢ – أخلاق الإنسان مع النفس.

٣ – أخلاق الإنسان مع المجتمع.

وسنعرض نماذج لهذه الأخلاق:

أوّلاً: أخلاق الإنسان مع الله تعالى:

أشار القرآن الكريم مراراً إلى تفضّل الله تعالى على الإنسان فهو الخالق المنعم القادر الرزّاق وبهذا التفضّل يجب على الإنسان أن يشكر ربّه تعالى كما أنّ العقل يحتّم على الإنسان أن يشكر ربّه عزّوجلّ من باب وجوب شكر المنعم حيث نذعن كعقلاء بوجوب شكر من يُحسن إلينا وإلّا فالعقلاء يذمّون من لم يشكر. ومن مظاهر شكر الإنسان لربّه تعالى أن يعبده حقّ عبادته بأن يؤمن به وبصفاته وبرسله وبكتبه واليوم الآخر وأن يعمل الصالحات ويجتنب المعاصي فمن نماذج الأخلاق التي ترسم صورة سلوك الإنسان مع ربّه تعالى:

أ – العبادة. ب – الشكر. ج – التقوى.

أ – العبادة:

لغة هي «الطاعة مع الخضوع»[1] وفي الاصطلاح هي «حالة من الخشوع والخضوع

---

(١) لسان العرب (م.س) ج٤، ص٢٧٧٨.

لله تعالى لنعمه التي لا تحصى تصاحب أفعالاً وممارسات نقوم بها في حياتنا»[(١)] وبهذا المعنى نفسّر كلمة العبادة ومشتقّاتها الواردة في القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٢١ – ٢٢] هاتان الآيتان أشارتا «إلى أنّ عناصر الحياة الأساسية هي من الله تعالى والتي هي عبارة عن الأرض والماء والزرع فالقادر على منح هذه العناصر هو المستحقّ للعبادة دون غيره»[(٢)].

وعلى هذا التفسير للعبادة نشرح الأحاديث التي تصف بعض الممارسات كالصمت والنظر إلى وجه العالم والتفكّر بأنّه عبادة ومن تلك الأحاديث ما روي في ميزان الحكمة:

١ – عن الإمام علي عليه السلام: «**أفضل العبادة العفاف**».

٢ – عن الإمام الصادق عليه السلام: «**أفضل العبادة إدمان التفكّر في الله وفي قدرته**».

٣ – عن الإمام الصادق عليه السلام: «**ما عبد الله بشيء أفضل من الصمت والمشي إلى بيته**».

٤ – عن الإمام علي عليه السلام: «**لا عبادة كالخشوع**».

٥ – عن الإمام علي عليه السلام: «**غضُّ الطرف عن محارم الله أفضل العبادة**».

٦ – عن النبي صلى الله عليه وآله: «**العبادة سبعون جزءاً وأفضلها طلب الحلال**».

٧ – عن النبي صلى الله عليه وآله: «**نظر الولد إلى والديه حبّاً لهما عبادة**».

---

(١) مفهوم العبادة في القرآن الكريم، بحث تمهيدي لمرحلة الماجستير في الدراسات الإسلامية:الخرسان، محمّد هادي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، مخطوط، ص١٤.

(٢) مفهوم العبادة في القرآن الكريم (م.س) ص٢٧.

٨ – عن النبي صلى الله عليه وآله: «**النظر إلى الأخ تودّه في الله عزّوجلّ عبادة**».

٩ – عن النبي صلى الله عليه وآله: «**النظر إلى العالم عبادة**».

١٠ – عن الإمام علي عليه السلام: «**إنّ من العبادة لين الكلام وإفشاء السلام**»[١].

فهذه الممارسات وغيرها ممّا أُطلق عليه عنوان العبادة كان بلحاظ أنّها تمثّل خضوعاً لله تعالى وخشوعاً لعظمته عزّوجلّ ويقابل العبادة الكفر بالله تعالى والتكبّر على الله تعالى وذلك من خلال «الامتناع عن الإيمان به والاستكبار عن طاعته وعبادته وهو أفحش أنواع الكفر وأبشع أنواع التكبّر كما كان عليه فرعون ونمرود وأضرابهما من طغاة الكفر»[٢]، ممّن تبع إبليس في كفره واستكباره وسار على نهجه قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة/ ٣٤] فسمّى الله تعالى امتناع إبليس عن السجود لآدم عليه السلام امتثالاً لأمر الله عزّوجلّ إباءً واستكباراً وكفراً، حيث يمثّل هذا الامتناع التمرّد على الله تعالى في الوقت نفسه تفضّل الله عليه بنعمه الكثيرة وكان سبب هذا التمرّد افتخار إبليس بأصله قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص٧٥/ ٧٦] وعاقبه الله تعالى على تمرّده بقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [ص٧٧/ ٧٨].

وممّن سار على خط إبليس فرعون وجنوده حينما كفروا برسالة موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ

(١) ميزان الحكمة: الري شهري، محمد، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٦م، ج٦، ص١٦/ ٢٠ – ٢١.

(٢) أخلاق أهل البيت عليهم السلام: الصدر،مهدي، مؤسّسة النعمان، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٤٧.

فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [العنكوت/ ٣٩ - ٤٠] فعاقب الله تعالى كلّ من كفر به واستكبر عن عبادته قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر/ ٦٠] (داخرين أي أذلّاء) فالله تعالى يعاقب كلّ من يستكبر عن عبادته ولا يخضع له بإدخالهم جهنّم بطريقة مذلّة محقّرة.

ب – الشكر:

وهو لغة يعني عرفان الإحسان ونشره أي نعرف للمحسن إلينا إحسانه فنذيع بين الناس أنّ فلاناً أحسن إلينا بهذا نكون له شاكرين ولا يكون إلّا عن يد وإحسان يصل إلى الشاكر بينما الحمد لمن يفعل الجميل وإن لم يصلنا معروفه وبهذا يفرق بين الحمد فهو يكون عن يدٍ وعن غير يدٍ وبين الشكر فهو لا يكون إلّا عن يدٍ[1].

والشكر لله تعالى على نعمه والخير في الحقيقة هو «الاعتراف قلباً وجناناً بأنّه منه تعالى والاعتقاد الجازم بأنّه القادر الحكيم لا يضع شيئاً ولا يرفعه عن عبده إلّا لمصلحة ولحكمة اقتضت ذلك وكذا الشكر هو الجري العملي وفقاً للاعتقاد فإذا اعتقد أنّ حاسّة البصر مثلاً هي نعمة منه تعالى إنّما أوجدها له لمصلحة الإبصار والاعتبار بها بما يشاهده من مأساة ومحن وفيوضات ونعم... وحكمة الاعتبار بها التنبّه والعمل بما نهاه الله تعالى عنه وأمره به طمعاً بالجزاء الآخر... فشكر مثل هذه النعمة عملاً هو أن لا يستعملها

(١) لسان العرب (م.س) ج٤، ص٢٣٠٥، بتصّرف وتوضيح.

في معصيته تعالى[١].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ [البقرة/ ١٧٢] فالشكر لله تعالى على نعمه من صميم العبادة له تعالى بل تهدّد من يكفر به ولا يشكره بالعذاب قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ [إبراهيم/ ٧] فوصف عدم الشكر بأنّه كفر. ولذا نجد نبي الله سليمان عليه السلام يدعو الله تعالى بأن يلهمه الشكر على نعمه قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [النمل/ ١٩] ويقابل الشكر لله تعالى كفران النعمة وهو استعمال مثل هذه النعم العظام والتي بها قوام الحياة فيما يسخط الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل/ ١١٢] وجاء في تفسير التبيان أنّه كان «يأمن الناس فيها على نفوسهم وأموالهم لا يخافون الغارة والنهب... وكان مع ذلك يجيؤها رزقها أي رزق أهلها من كلّ موضع لأنّه كان يجلب إليها تفضّلاً منه تعالى... وإنّما أضاف الكفر إلى القرية مجازاً... وقوله: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ ﴾ إنّما سمّاه لباس الجوع لأنّه يظهر عليهم من الهزال وشحوب اللون وسوء الحال ما هو كاللباس... جزاء بما كانوا يصنعون من الكفر والشرك وتكذيب الرسل»[٢]. وقال تعالى: ﴿ إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡ ﴾ [الزمر/ ٧].

وجاء في تفسير التبيان: «ومعناه إن تجحدوا نعم الله فلا تشكروه فإنّ الله غني عن

(١) فرائد الأخلاق: الحسني، عبد الصاحب، دار المرتضى، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٣٤.
(٢) التبيان (م.س) م٦، ص٤٣٢ – ٤٣٣.

شكركم... ثمّ قال: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي أن تشكروا نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويريده منكم ويثيبكم عليه... وشكر الله لعبده هو إثابته على الشكر والطاعات والشكر من العبد الاعتراف بالنعمة مع ضربٍ [أي نوع] من التعظيم»[١].

ولنا أن نستلخص العبرة من هاتين الآيتين الكريمتين في الاهتمام بشكر الله تعالى وعدم كفران نعمه لئلّا تحلّ بنا المصائب والمصاعب فنشقى في حياتنا الدنيا ونخسر الجنّة في الحياة الأُخرى «والشكر لا يعني لقلقة اللسان به بل هو اجتناب المحارم وفعل الطاعات فهو دعوة لإشاعة الطاعة في المجتمع ولها أثرها في الحياة الشخصية والعامة»[٢].

ج – التقوى:

«وهي صيانة النفس عمّا يضرّها في الآخرة»[٣] وهذا مأخوذ من المعنى اللغوي لكلمة (وقي) فإنّها تدلّ على دفع شيء عن شيء بغيره... واتّقِ الله: توقَّه أي إجعل بينك وبينه كالوقاية قال النبي صلى الله عليه وآله: «**اتّقوا النار ولو بشقّ تمرة**» وكأنّه أراد اجعلوها (أي التمرة) وقاية بينكم وبينها (أي النار)[٤].

فالمقصود أن نجعل شيئاً بين النار والتي تمثّل العقوبة على ما يصدر عنّا من المعاصي وبين نفوسنا لنحميها من النار وهذا الشيء الواقي هو طاعة الله تعالى عقيدة وعملاً،

---

(١) التبيان (م.س) م٨، ص٩ – ١٩.

(٢) العمل في الإسلام ودوره في التنمية الاقتصادية: الخرسان، محمد هادي، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص١٨٠ – ١٩١.

(٣) أخلاق أهل البيت عليهم السلام (م.س) ص١٩١.

(٤) مقاييس اللغة: ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٠٦١.

فتسمّى عملية جعل الحماية من النارمن خلال الطاعة لله ربّ العالمين تسمّى التقوى وتحصل حينئذ الصيانة للنفس عمّا يضرّها في الآخرة.

وجاء في كتاب عدّة الداعي لابن فهد «واعلم أنّ الصادق عليه السلام سُئل عن تفسير التقوى فقال عليه السلام: «**أن لا يفقدك الله حيث أمرك ولا يراك حيث نهاك**»، وهذا بعينه قوله عليه السلام: «**ولكن ذكر الله عندما أحلَّ وحرَّم فإن كان طاعة عمل بها وإن كان معصية تركها**». وهذا هو حدّ التقوى وهي العُدّة الكافية في قطع الطريق إلى الجنّة بل هي الجنّة الواقية من متالف الدنيا والآخرة... وكفاها شرفاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء/ ١٣١]. ولو كان في العالم خصلة أصلح للعبد وأجمع للخير... من هذه الخصلة التي هي التقوى لكان الله سبحانه أوصى بها عباده لمكان حكمته ورحمته فلمّا وصّى بهذه الخصلة الواحدة جمع الأوّلين والآخرين[(١)].

وجاء في التبيان في تفسير هذه الآية: «ولقد وصّينا أهل التوراة والإنجيل وهم الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم وإيّاكم أي أمرناكم أيضاً أيّها الخلق ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ والتقدير بأن اتّقوا الله واحذروا أن تعصوه وتخالفوا أمره ونهيه ﴿وَإِن تَكْفُرُواْ﴾ يعني تجحدوا وصيّته إيّاكم أيّها المؤمنون فتخالفوها ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يعني له ملك ما فيها... [و] تضرّون أنفسكم بما يحلّ بكم من عقابه وغضبه ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ لم يزل غير محتاج إلى خلقه وأنّ الخلق هم المحتاجون إليه ﴿حَمِيدًا﴾ يعني مستوجب الحمد عليكم بصنائعه الحميدة إليكم وآلائه الجميلة فاستدعوا ذلك باتّقاء معاصيه والمسارعة إلى طاعته فيما يأمركم به»[(٢)].

(١) عدّة الداعي:ابن فهد الحليّ، احمد(ت ٨٤١هـ) تصح. أحمد الموحّدي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٣٠٣ – ٣٠٤.
(٢) التبيان (م.س) ج٣، ص٣٥١ – ٣٥٢.

وعملية التقوى تحتاج إلى جهد ومثابرة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية ولكنّها في المحصّلة يفوز بها الإنسان في الآخرة بالجنّة كما جاء في قول الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا كان يوم القيامة يقوم عُنُقُ [أي جماعة] من الناس فيأتون باب الجنّة فيضربونه فيقال لهم: من أنتم؟، فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟، فيقولون كنّا نصبر على طاعة الله ونصبر عن معاصي الله فيقول الله عزّوجلّ: صدقوا، أدخلوهم الجنّة وهو قول الله عزّوجلّ:** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر/ ١٠]»[١].

وقد ورد الجذر اللغوي (وقي) في مشتقّات عديدة في القرآن الكريم تزيد على (٢٥٠) مورداً[٢] ممّا يؤشّر لنا مزيد الاهتمام بالوقاية من جميع أنواع الأذى في الدنيا والآخرة ويقابل التقوى التعرّض لسخط الله تعالى من خلال ارتكاب المعاصي والتخلّق بالرذائل فتكون النفس نفساً أمّارة بالسوء لا يخرج صاحبها من سوء إلّا ودخل في سوء آخر وذلك لاتّباع الإنسان هواه والهوى مأخوذ من الهوي بالنفس إلى الأسفل بدلاً من الارتقاء إلى الأعلى وقد قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية/ ٢٣]. وجاء في التبيان: «وإنّما سمّي الهوى إلهاً من حيث أنّ العاصي يتبع هواه ويرتكب ما يدعوه إليه ولم يرد أنّه يعبد هواه أو يعتقد أنّه يحقّ له العبادة لأنّ ذلك لا يعتقده أحد... ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ معناه حكم الله بضلاله عالماً بعدوله عن الحقّ... ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾... ومعناه أنّه يجعل عليهما علامة تدلّ على كفره وضلاله واستحقاقه للعقاب، لا أنّه يفعل فيهما ما يمنع من فعل الإيمان والطاعات، ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ شبهه بمن كان على عينه غشاوة تمنعه من الإبصار لأنّ الكافر إذا كان لا ينتفع بما يراه ولا

(١) الكافي (م.س) ج٢، ح٤، ص٧٥.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: عبدالباقي، محمد فؤاد، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٧٥٨ - ٧٦١.

يعتبره به فكأنّه لم يره ثمّ قال ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ﴾ إلى طريق الجنّة... ﴿مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ﴾ إن حكم بخلافه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أي أفلا تتفكّرون فتعلمون أنّ الأمر على ما قلناه»[١].

نسأل الله تعالى البصيرة في قلوبنا والهداية في عقولنا والاستقامة في أفعالنا جعلنا الله من الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

ثانياً: أخلاق الإنسان مع النفس:

«لقد شخّص القرآن أمراضاً نفسية وحالات مرضية وعُقُداً مستحكمة في سلوك الأفراد... وشهد بأنّ الإنسان:

جهول/ كفور/ يؤوس/ فرح/ مختال/ عجول/ ظلوم/ قتور/ هلوع/ جزوع/ مجادل/ لاهٍ/ مغرور/ كنود/ وسواسي/ متمنّي/ متقلّب في المواقف/ خصم/ طاغية/ يحبّ الفجور/ ينسى الفضل / محب للمال/ جشع/ شهواني....

نلاحظ أنّ القرآن تحدّث عن هذه الحالات بصيغة المبالغة ممّا يؤكّد عمق وسعة وخطورة هذه الحالات في النفس البشرية المريضة... ولقد ثبت القرآن الكريم منهجاً وقاعدة للتغيير الاجتماعي تنطلق من تغيير تلك النزعات والتغلّب عليها قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد/ ١١][٢].

فعلينا أن نبدأ بتغيير نفوسنا وفق المنهج الإلهي فنصوّب نفوسنا تجاه الله تعالى ونبتعد بها عن الشيطان وأتباعه بعد ما عرفنا دور الشيطان في الابتعاد عن الطريق المستقيم من خلال قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩

(١) التبيان (م.س) ج٩، ص٢٥٩.

(٢) دروس إسلامية، الحلقة ٤٣ – ٤٤، دار التوحيد، الكويت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ص٢٧ – ٢٨.

إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر/ ٣٩ – ٤٣]، فقد أخذ الشيطان على نفسه وعداً بأن يغوي الإنسان ليبتعد عن الله تعالى وفي الوقت عينه وعد الله الذين يبتعدون عن الشيطان بالجنّة قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾ [الحجر/ ٤٥ – ٤٦]، فالمتّقي الذي أخلص العبادة لربّه وابتعد عن الشيطان فكانت نيّته خالصة لربّه عزّوجلّ وعمل الصالحات واجتنب عن المعاصي وكانت له القوّة على أداء الطاعة واجتناب المعصية؛ ولذا سنذكر نماذج لأخلاق الإنسان مع نفسه ممّا يتعلّق بالنيّة والعمل والقوّة وهي:

١ – الإخلاص.

٢ – العفّة.

٣ – الصبر.

فأي عمل يقوم به الإنسان يحتاج إلى نيّة فإذا كانت خالصة لله عزّوجلّ استحقّ العمل أن ينظر الله تعالى إليه ويحتاج إلى الصبر وقوّة التحمّل ليؤدّيه خالصاً مع حفظ النفس وتعفّفها عن الرذائل وهذا ما سنذكره على نحو الإيجاز تاركين التفصيل إلى فرصة أُخرى.

١. الإخلاص: وهو في اللغة: «تنقية الشيء وتهذيبه»(١).

وفي الاصطلاح: «تجريد النيّة من الشوائب والمفاسد»(٢).

---

(١) مقاييس اللغة: ابن فارس (م.س) ص٣٠٩.

(٢) الأخلاق، شبرّ (م.س) ص١٧.

وبعبارة أُخرى هو «تجريد قصد التقرّب إلى الله تبارك وتعالى عن جميع الشوائب والعلل والتبرّي من كلّ ما دون الله سبحانه»[١] فيكون العمل خالصاً لوجه الله وتكون النيّة نقيّة عن جميع الشوائب الحاجزة عن السلوك في طريق الله تعالى وإذا كان هناك جزء مهما صغر من الشوائب التي تظهر لنا أمام أعيننا ونحن نسير نحو الله تعالى فإنّه يجعل النيّة غير خالصة لله تبارك وتعالى وقد قال في محكم كتابه ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ [البيّنة/ ٥]. وجاء في تفسير هذه الآية في كتاب التبيان: «أي لم يأمرهم الله تعالى ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ وحده ولا يشركوا بعبادته غيره ﴿ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ لا يخلطون بعبادته عبادة سواه. وقوله ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ جمع حنيف وهو المائل إلى الحقّ... وقوله ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي يدوموا عليها ويقوموا بحدودها ﴿وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ المفروضة من أموالهم ثمّ قال ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ أي ذلك الذي تقدّم ذكره... دين الملّة القيّمة»[٢].

فالإخلاص لله تعالى في النيّة والتي هي في داخل نفس الإنسان ولا يعلم بها إلّا الله تعالى والإنسان نفسه هو عالم بها أيضاً هو «أن يكون العابد مخلصاً في عبادته فلا يرائي ولا يشرك به تعالى في العبادة. قد حثّ القرآن الكريم على الإخلاص بعدم الرياء وبعدم الشرك فقال تعالى ﴿ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ [الزمر/ ٢]... وقد ورد مدح الله عزّوجلّ للعباد المخلصين فقال تعالى مادحاً يوسف عليه السلام بأنّه كان من المخلصين وإنّ هذا الوصف نفعه حين ابتلائه بالسجن فكان تحت عناية الله تعالى ورعايته وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾

(١) موسوعة أخلاق القرآن: الشرباصي، د.أحمد، دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٢، ص١٧٣.

(٢) التبيان (م.س) ج١٠، ص٣٨٩ – ٣٩٠.

[يوسف / ٢٤].

وفي التبيان (قرأ أهل الكوفة ونافع (المخلَصين) بفتح اللام.الباقون بكسرها... فإذا أخلصوا هم دينهم فهم مخلصون وإذا أُخلصوا فهم مخلَصون) ففتح اللام على أساس أنه اسم مفعول للفعل المبني للمجهول وكسرها على أساس أنه اسم فاعل للفعل المبني للمعلوم.(١)

فالسوء بعيد عن يوسف عليه السلام لأنّه مخلص في عبادته، والإخلاص يجلب الحماية للإنسان فيكون تحت رعاية الله تعالى فلا يمكن للشيطان أن يغويه فقال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص/ ٨٢-٨٣] والمخلصون لا يشملهم العذاب والغضب فقال تعالى: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الصافات/ ٣٩ - ٤١].

وهناك آيات كثيرة وردت في مقام النهي عن الشرك والإشراك في عبادته تعالى... منها قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ﴾ [التوبة/ ٣١]... وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ﴾ [الرعد/ ٣٦] فتبيّن من هذه الآيات أنّ الإخلاص في العبادة لله تعالى يتطلّب عدم الشرك وعدم الرياء ولذا قالوا: إن الرياء شرك خفي(٢) لأنّه عبارة عن العبادة بقصد المراءاة أمام الآخرين وحبّ الظهور أمامهم بمظهر الملتزم المتعبّد فيكون قد جعل شريكاً في عبادته(٣).

وجاء عن أهل البيت عليهم السلام في شرح حقيقة الإخلاص وبيان أثره في حياة الإنسان

(١) التبيان (م.س) ج٦، ص١٢٠.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان المحقق الأردبيلي، أحمد (ت٩٩١ هـ/ ١٥٨٢م) جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ، ج١٢، ص٣٧١.

(٣) مفهوم العبادة في القرآن الكريم (م.س) ص٣٣ - ٣٤.

الأحاديث الكثيرة ننقل بعضاً منها عن كتاب ميزان الحكمة[١]:

أ – حقيقة الإخلاص:

١ – عن النبي صلى الله عليه وآله: «**ما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتّى لا يحبّ أن يحمد على شيء من عمل لله**».

٢ – عن الإمام علي عليه السلام: «**العبادة الخالصة أن لا يرجو الرجل إلّا ربّه ولا يخاف إلّا ذنبه**».

٣ – عن الإمام الصادق عليه السلام: «**العمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّوجلّ**».

ب – آثار الإخلاص:

١ – عن النبي صلى الله عليه وآله: «**أخلص قلبك يكفك القليل من العمل**».

٢ – عن النبي صلى الله عليه وآله: «**اعمل لوجه واحد يكفيك الوجوه كلّها**».

٣ – عن الإمام علي عليه السلام: «**في الإخلاص يكون الخلاص**».

ج – أسباب الإخلاص ومناشؤه:

١ – عن الإمام علي عليه السلام: «**سبب الإخلاص اليقين**».

٢ – عن الإمام علي عليه السلام: «**ثمرة العلم إخلاص العمل**».

٣ – عن الإمام علي عليه السلام: «**أوّل الإخلاص اليأس ممّا في أيدي الناس**».

وأخيراً يفصل لنا الإمام الباقر عليه السلام المسافة بين الإخلاص والرياء فيقول: «**ما بين**

(١) ميزان الحكمة (م.س) ج٣، ص٥٧ – ٦٨.

الحقّ والباطل إلّا قلّة العقل قيل وكيف ذلك يابن رسول الله ﷺقال **أنّ العبد يعمل العمل الذي هو لله رضى فيريد به غير الله فلو أنّه أخلص لله لجاءه الذي يريد في أسرع من ذلك**»[١]. فالمسافة بينهما تقدّر بقلّة عقل الإنسان وعدم تدبّره في ما ينفعه وما يضّره فإنّه حين يعمل لله تعالى يرزقه الله من حيث لا يحتسب ويقبل عمله بينما إذا عمل ما كان لله تعالى يريد به غير الله فالله سيحرمه من الرزق ولا يقبل عمله فالعاقل يلحظ الربح في أعماله وعلى هذا فالمقابل للإخلاص هو الرياء والسمعة.

الرياء: هو «التظاهر بالخير من دون حقيقة لينال رضى الناس»[٢] أو هو «طلب الجاه والرفعة في نفوس الناس بمراءات أعمال الخير»[٣]، «أصل الرياء من الرؤية وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال الخير والسمعة من السماع وهي طلب المنزلة في قلوب الناس بأسماعهم ما يوجب ذلك»[٤]، قال تعالى في وصف المنافقين ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء/ ١٤٢]، وممّا جاء في تفسير هذه الآية «أنّ المنافقين لا يعملون شيئاً من أعمال العبادات التي أوجبها على المؤمنين على وجه القربة إلى الله... وإنّما يفعلون ذلك إبقاء على أنفسهم وحذراً من المؤمنين أن يقتلوهم ويسلبوا أموالهم فهم إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى إليها رياءً للمؤمنين ليحسبوهم المؤمنون منهم وليسوا منهم»[٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ

(١) ميزان الحكمة(م.س) ج١،ص٧٦٠.
(٢) شرح الأربعين النبوية: الجلالي محمّد حسين، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص٣٦٣.
(٣) أخلاق أهل البيت عليهم السلام (م.س) ص٩٢.
(٤) الأخلاق، شبرّ (م.س) ص١٥٧.
(٥) التبيان (م.س) ج٢، ص٣٦٥ – ٣٦٦.

مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة/ ٢٦٤] «أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كإبطال المنافق الذي ينفق رياء الناس لا يريد بإنفاقه رضاء الله ولا ثواب الآخرة»[١].

فالرياء والسمعة هما من أكبر الرذائل التي تحيط بنفس الإنسان فتسلبه التوفيق لنيل مرضاة الربّ تعالى شأنه حتّى أنّه ورد[٢] عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**إنيّ تخوّفت على أُمّتي الشرك أما إنّهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولكنّهم يراؤون بأعمالهم**» وأنّه قال صلى الله عليه وآله: «**إنّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** قالوا وما الشرك الأصغر؟ قال: **الرياء**». وجاء في أخبار أهل البيت عليهم السلام وصف المرائي بأنّ له علامات أربع: «**يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أُثني عليه وينقص منه إذا لم يثنِ عليه**» ومن آثار الرياء أنّ صاحب العمل لا ينال ثوابه من عند الله بل يساق به إلى النار كما يحدّثنا به الإمام الصادق عليه السلام «**يجاء بعبد يوم القيامة قد صلّى فيقول ياربّ صلّيت ابتغاء وجهك فيقال له صلّيت ليقال ما أحسن صلاة فلان اذهبوا به إلى النار**»ولذا حرص أئمّتنا على التنبيه لخطورة الرياء والتحذير من آثاره حتّى بعد العمل ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «**الإبقاء على العمل أشدّ من العمل**: قال الراوي: وما الإبقاء على العمل؟ قال **يصل الرجل بصلة وينفق نفقة لله وحده لا شريك له فتكتب له سرّاً ثمّ يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثمّ يذكرها فتمحى وتكتب له رئاء**» فالنيّة إمّا حسنة بأن تكون القربة لله وإمّا سيّئة بأن يشرك في النيّة مع الله أحداً أو يأتي بالعمل متقرّباً إلى غير الله تعالى مهما كان نوع العمل وعلى هذا فلا يصحّ أن يقال «فالنيّة توصف بأنّها حسنة أو عادية أو سيّئة تبعاً لما إذا كانت طاعة الإنسان لله من أجل ذاته أو كانت

(١) الكشّاف (م.س) م١، ص٣١٢.

(٢) ميزان الحكمة (م.س) ج٤، ص٢٨ – ٣٢، ومنه أخذنا الروايات المذكورة في هذه النقطة.

ذات هدف نفعي مشروع أو غير مشروع»[١] فالعمل إمّا لله تعالى أو لغيره ولا واسطة في البين نسأل الله تعالى التوفيق للإتيان بالأعمال الحسنة سرّاً وعلانية نريد بها وجه الله تعالى لننال بها رضوانه ونفوز بجنانه.

٢ - العِفّة (بكسر العين): في اللغة: «الكفّ عمّا لا ينبغي وقلّة الشيء فيقال العُفّة، أي بقيّة اللبن في الضرع»[٢].

وفي الاصطلاح: هي «الامتناع والترفّع عمّا لا يحلّ أو لا يجمل من شهوات البطن والجنس»[٣]، «ولذلك قيل عفّ الرجل عن الحرام والعفيفة هي المرأة الخيّرة والتي تصون عرضها وشرفها والتعفّف هو الاقتصار على أخذ الشيء القليل وهو أيضاً طلب العفاف والمتعفّف هو الذي يحاول الاتّصاف بالعفّة عن طريق الممارسة وقوّة الإرادة»[٤]، فالعفّة لا يعني حرمان النفس من رغباتها بل ضبط تصرّفاتها في البطن والجنس اللذين هما من الحاجات الضرورية فيقتصر على المعتدل ممّا أباحه الله تعالى لنا ولا نتجاوز الحدّ من جانبي الكثرة والقلّة فالعفّة في اصطلاح علماء الأخلاق «وسط بين رذيلتين وهما الشره وخمود الشهوة وأعني بالشره الانهماك في اللذّات والخروج فيها عمّا ينبغي وأعني بخمود الشهوة السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذّة الجميلة التي يحتاج إليها البدن في ضروراته وهي ما رخّص فيه صاحب الشريعة والعقل[٥] وقد جاء الجذر اللغوي (عفّ) في القرآن الكريم في أربعة موارد بصيغتين:

(١) دستور الأخلاق في القرآن: دراز، د. محمّد عبدالله، تح. د. عبدالصبور شاهين، مؤسّسة الرسالة، ط٦، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٥٦٤.

(٢) مقاييس اللغة (م.س) ص٦٢١.

(٣) أخلاق أهل البيت عليهم السلام (م.س) ص٦٤.

(٤) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ج١، ص١.

(٥) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (م.س) ص٤٧.

الصيغة الأُولى: صيغة فعل المضارع (يستعفف) في ثلاث آيات:

أ – قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ﴾ [النساء/ ٦]، أي (من كان غنياً من ولاة أموال اليتامى فليستعفف بماله عن أكلها)[1]، فكان النهي عن أكل مال اليتيم مقابل الولاية عليه إذا كان الولي غنياً. والخطاب في هذه الآية شامل للرجال والنساء.

ب – قوله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ [النور/ ٣٣].

ج – قوله تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور/ ٦٠].

هاتان الآيتان تتحدّثان عن طلب العفّة في جانب الجنس دون البطن وكان الخطاب في الآية الأُولى شامل للرجال وللنساء يحثّهم على طلب الحلال في العلاقة الجنسية إن حصلت وإلّا فليمتنع عن الحرام حتّى يغنيه الله من فضله فإنّ المتّقي لله في السرّ والعلن يهيّئ الله تعالى له سبيل الحلال من فضله من حيث يحتسب ولا يحتسب قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق/ ٢ – ٣]، وأمّا الآية الثانية فالخطاب متوجّه نحو النساء بطلب العفّة في إبراز ما يسوغ لهنّ من إبرازه بلحاظ كون المخاطب خصوص النساء القواعد اللاتي لا يرغب في نكاحهنّ لكبر السن فالخير لهنّ الستر والعفاف كلّ ذلك تحفّظاً عن إثارة الغريزة الجنسية في أجواء غير سليمة.

الصيغة الثانية: صيغة المصدر (التعفّف) في آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ

(١) التبيان (م.س) ج٣، ص١١٩.

ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة/ ٢٧٣]، والحديث في هذه الآية شامل للرجال والنساء بلحاظ الاكتفاء بالقليل ممّا لديهم على الرغم من الحاجة، فهم يظهرون بمظهر الغنى تعفّفاً وترفّعاً عن سؤال الآخرين فالله تعالى أشار إلى خصلة حسنة وهي التعفّف عمّا لا يليق والامتناع عمّا لا يجمل بالإنسان فعله وقد أكّد أئمة أهل البيت عليهم السلام على العفة والعفاف في البطن والجنس ففي ميزان الحكمة[1]:

١. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أفضل العبادة العفاف**».

٢. وعنه عليه السلام أيضاً: «**زكاة الجمال العفاف**».

٣. وعنه عليه السلام ايضاً: «**عفو عن نساء النساء تعف نساؤكم**».

٤. وعنه عليه السلام: أيضاً: «**العفاف زينة الفقر**».

فهذه الأقوال الأربعة وغيرها تتحدث عن العفاف كقيمة أخلاقية عالية يجب أن تتحلّى بها نفس الإنسان، لما لها من آثار على حياته ، فالعفاف أفضل العبادة، إذ يمثل خضوعاً لله تعالى وامتثالاً لأوامره كما به ينمو الجمال ، فالزكاة في اللغة تعني:النمو، فالإنسان الجميل إذا كان عفيفاً في بطنه وفرجه ازداد جمالاً بخلاف ما لو كان شرهاً أو خامداً في الشهوة، فإنه سيذبل جماله ويزول، كما أن من آثار العفة عن التعرض لنساء الآخرين عفَّ الآخرين عن نسائنا، وأخيراً وليس آخراً يكون العفاف زينة الفقير الذي لا يجد ما يّزين به نفسه سوى العفاف في المال والجنس؛ وذلك لأن العفاف جاء: (ليزيّنه وليكون ناطقاً عنه بأنه يتمتع بالشيء المهم جداً في الحياة العملية للإنسان بما يحمي المجتمع من حواليه ويضيف إلى قائمة حسناته حسنة أُخرى تكون نقطة تحوّل في غاية

(١) ميزان الحكمة (م.س) ج٦،ص٣٥٨-٣٥٩.

الأهميّة إذ الكثير ممّن يقتني ويجمع المال ولكنّه من دون عفاف فلا يترك له أي أثر أو أي شيء يثير الانتباه إليه(١).

وقد عبّر القرآن الكريم عن العفّة في الجنس الحرام بالحفظ للفروج قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور/ ٣٠ – ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾ [الأحزاب/ ٣٥]، فكان الخطاب والحديث موجّهاً للرجال والنساء حول حفظ الفرج عن الحرام في الجنس وأنّهم مأمورون بذلك وعفّة الفرج من صفات المؤمنين والمؤمنات وفي آيتين أُخريين تحدّث القرآن عن صفات المؤمنين بما هم مؤمنون من دون تفريق في الخطاب بين الرجال والنساء للتنبيه على أنّ العفّة من شؤون الإيمان وتوابعه فقال عزّوجلّ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون/ ٥ – ٧؛ والمعارج/ ٢٩ – ٣١] فالإيمان يمنع الإنسان من الإفراط في الجانب الجنسي من حياة الإنسان وللعفّة ثمرتها العملية في حياة الإنسان ففي ميزان الحكمة(٢).

١ – عن الإمام علي عليه السلام: «**ثمرة العفّة القناعة**».

٢ – عنه عليه السلام أيضاً: «**من عفّ خفّ وزره وعظم عند الله قدره**».

٣ – عنه عليه السلام أيضاً: «**بالعفاف تزكو الأعمال**».

---

(١) أخلاق الإمام علي عليه السلام: الخرسان، محمّد صادق، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٤٠.

(٢) ميزان الحكمة (م.س) ج٦، ص٣٦٣.

٣ – **الصبر:** لغةً: هو «الحبس يقال صبّرتُ نفسي على ذلك الأمر أي حبستها»[(١)].

وفي اصطلاح علماء الأخلاق هو: «مقاومة النفس للهوى لئلّا تنقاد لقبائح اللذّات»[(٢)] وهذه المقاومة نلحظها في تصوير دقيق للصبر ذكره السيّد عبدالله شبرّ في كتابه الأخلاق: «اعلم أنّ القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهم على ساق ومحلّ المعركة قلب المؤمن ومدد باعث الدين من الملائكة الناصرين لحزب الله ومدد باعث الشهوة والهوى من الشياطين الناصرين لأعداء الله فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة»[(٣)].

وبتعبير آخر الصبر هو «حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عمّا يقتضيان حبسها عنه وضدّ الصبر الجزع ولذا جاء في القرآن الكريم: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٖ﴾ [إبراهيم/ ٢١]، والصوم يسمّى صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والشهوة ويسمّى شهر رمضان شهر الصبر لأنّه شهر الصوم، والمصابرة: هي مطاولة الغير في الصبر، والتصبّر: هو تكلّف الصبر، والاصطبار: زيادة الاحتمال في مجال الصبر»[(٤)]. ورد الجذر اللغوي (صبر) (١٠٣ مرّات) في القرآن الكريم بصيغ مختلفة وهي على النحو التالي[(٥)] ففي صيغة فعل الماضي (٢١ مرّة)، وفي صيغة المضارع (١١ مرّة)، وفي صيغة فعل الأمر (٢٩ مرّة)، وفي صيغة المصدر (١٥ مرّة)، وفي صيغة اسم الفاعل (٢٢ مرّة)، وفي صيغة المبالغة لاسم الفاعل (٤ مرّات)، ومرّة

---

(١) مقاييس اللغة (م.س) ص٥٦١.
(٢) تهذيب الأخلاق: ابن مسكويه، (م.س)، ص٤١.
(٣) الأخلاق، شبرّ (م.س) ص٢٢٧.
(٤) موسوعة القرآن الكريم (م.س) ج١، ص١٩١.
(٥) المعجم المفهرس (م.س) ص٣٩٩ – ٤٠١.

واحدة في صيغة التعجّب فمن هذا التكرار لمادّة (صبر) نفهم الاهتمام الشديد بالصبر ومما جاء في مدح القرآن للصبر قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[البقرة/ ١٣٥]، ففي الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**الصبر الصيام وقال إذا نزلت بالرجل النازلة والشديدة فليصم فإنّ الله عزّوجلّ يقول استعينوا بالصبر يعني الصيام**»[(١)].

ويعلّق السيّد السبزواري على هذه الرواية بقوله: «إنّه من باب التطبيق لأنّ الصوم يوجب الصبر عن الشهوات النفسانية فلا منافاة بين هذا الحديث وسائر ما ورد في معنى الصبر»[(٢)].

ومعنى الآية الشريفة الطلب إلى المؤمنين بأن يستعينوا في أُمورهم بالصبر والصلاة وذلك لأنّ «الاستعانة بالصبر استعانة بأهمّ الأسباب المؤدّية إلى المطلوب... وأمّا الاستعانة بالصلاة فإنّها استعانة بأبرز مظاهر العبودية لربّ العالمين»[(٣)]، «وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ أي معهم بالمعونة والنصرة كما تقول إذا كان السلطان معك فلا تبالِ من لقيت»[(٤)].

وضدّ الصبر «الجزع والهلع وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت وضرب الخدود...»[(٥)]، وجاء عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام في حقّ الصبر روايات كثيرة

---

(١) الكافي (م.س) ج٤، ح٧، ص٦٣ – ٦٤.
(٢) مواهب الرحمان (م.س) ج٢، ص١٧٥.
(٣) مواهب الرحمان (م.س) ج٢، ص١٦٣.
(٤) التبيان (م.س) ج٢، ص٣٣.
(٥) الأخلاق، شبرّ (م.س) ص٢٢٧.

نذكر بعض ما ذكر في ميزان الحكمة[(١)]:

أ – عن الإمام علي عليه السلام «**الصبر صبران صبر عند المصيبة حسن جميل وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرّم الله عليك**».

ب – عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الصبر رأس الإيمان**».

ثالثاً: أخلاق الإنسان مع المجتمع

بما أنّ مساحة العلاقة بين الإنسان والمجتمع واسعة لكثرة من يرتبط به الإنسان بدءً من البيت ثمّ المدرسة ثمّ العائلة والأُسرة ثمّ الجيران ثمّ بقيّة أفراد المجتمع تكون الدراسة حول علاقة الفرد بالمجتمع دراسة متشعّبة ولكنّنا سنقتصر في الدراسة على أُسس ثلاثة نراها ضرورة الحديث عنها فعلاً لأهميّتها وهي:

١ – العدل.

٢ – الإحسان.

٣ – الوفاء.

١ - العدل

فالله تعالى أمر بالعدل وبالإحسان والوفاء في كتابه العزيز كما سيأتي ذكره فكانت هذه العناوين هي الأُسس التي تبنى عليها علاقة الفرد بمجتمعه ففي العدل يعطي الإنسان الحقّ لصاحبه وفي الإحسان يفيض على الآخرين من كرمه وفي الوفاء تظهر ذمّة الإنسان حين الوفاء بالالتزامات التي أخذ على نفسه الوفاء بها.

---

(١) ميزان الحكمة (م.س) ج٥، ص٢٦١، ٢٦٧.

١ – العدل: لغةً: «ضدّ الجور»[١] «والعدل من الناس المرضي المستوي الطريقة»[٢] ويقابله الظلم وهو «وضع الشيء غير موضعه تعدّياً»[٣].

اصطلاحاً: هو «صناعة نفسية تردع صاحبها عن الظلم وتحفّزه على العدل وأداء الحقوق والواجبات»[٤] أو هو «الإنصاف والمساواة بين الناس وهو الحكم بالاستواء وهو تحرّي المساواة والمماثلة بين الخصمين بأن لا يرجّح أحدهما على الآخر بشيء قط بل يكونان سواء حتّى يصل كلّ ذي حقّ حقّه»[٥]، والعدل يستعمل على معنيين عام وهو الاعتدال وخاصّ وهو ما يطلبه الرعيّة من سلاطينهم ويقابل الجور والظلم.

أمّا العام فهو عبارة عن التوسّط بين التقصير والسرف لأنّه مأخوذ من الاعتدال ومنه العدالة فما جاوز الاعتدال فهو خروج عنه... وأمّا الخاصّ... فبه تكون الأُلفة والطاعة وعمارة الأرض وإنماء الأموال واطمئنان النفوس... وإذا كان العدل من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها إلّا به وجب أن يبدأ الإنسان بعدله في نفسه ثمّ بعدله في غيره.

أمّا عدله في نفسه: فيكون بحملها على المصالح وكفّها عن القبائح... وأمّا عدله في غيره فثلاثة أقسام:

الأوّل: عدله فيمن دونه كالسلطان مع رعيته والرئيس مع صحابته وعدله بأربعة

(١) القاموس المحيط: الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (٧٢٩-٨١٦هـ/ ١٣٢٩-١٤١٤م) تق. محمّد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٩٤٨.

(٢) مقاييس اللغة (م.س) ص٧١٨.

(٣) مقاييس اللغة (م.س) ص٦١٧.

(٤) أخلاق أهل البيت عليهم السلام (م.س) ص٧٧.

(٥) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ج١، ص٢٢.

أشياء: اتّباع الميسور وحذف المعسور وترك التسلّط بالقوّة وابتغاء الحقّ في السيرة.

الثاني: عدله فيمن فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها وهو بشيئين إخلاص الطاعة وبذل النصرة.

الثالث: عدل الإنسان مع أكفائه ويكون بثلاثة أشياء: ترك الاستطالة وكفّ الأذى ومجانبة الإدلال [المنّ على الآخرين وأنّه صاحب فضل على غيره][1]، وجاء الجذر اللغوي (عدل) في القرآن الكريم (٢٨ مرّة)[2] بأربع صيغ:

١ – صيغة المصدر (١٤ مرّة).

٢ – صيغة فعل المضارع (١١ مرّة).

٣ – صيغة فعل الأمر (مرّتان).

٤ – صيغة فعل الماضي (مرّة).

ومن الآيات التي تتحدّث عن العدل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ [النحل ٩٠ – ٩١].

في هاتين الآيتين وقع الحديث عن أخلاق الإنسان مع مجتمعه ضمن العناوين الثلاثة التي ذكرناها أوّل المبحث وهي العدل والإحسان والوفاء ووجه الربط بين هذه

---

(١) نور الحقيقة ونور الحديقة: الحارثي، للشيخ حسين عبدالصمد، (٩١٥-٩٨٥هـ)، تح. محمّد جواد الجلالي، مؤسّسة النور، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٣١ – ١٣٥.

(٢) المعجم المفهرس (م. س) ص٤٤٨ – ٤٤٩.

الأُسس الثلاثة هو أنّ العدل يعني إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه والإحسان يعني التفضّل والبرّ بالآخرين وخصّ ذوي القربى بالذكر لأهميّة صلة الرحم ولتعليم الإنسان بمن يبدأ في برّه وإحسانه فيأتي بالواجب والمستحبّ من الإنفاق على ذوي القربى مع شرط مهم وهو النهي عن الفحشاء في القول من السبّ واللعن والذمّ والمنّ والأذى مع النهي عن المنكر والبغي وخصّ البغي بالذكر مع أنّه منكر لشدّة تأثير البغي في المجتمع فإنّه إذا سرى في أفراد المجتمع تفكّكت أواصر المجتمع وتحلّلت تركيبته إلى أجزاء متفرّقة، ثمّ طلب الله تعالى إلينا بالوفاء بالعهود والعقود التي نلتزم بها ومن تلك العهود الأيمان التي يقسّم بها الإنسان حين إرادة أمر ما.

هذه لمحة سريعة عن تفسير الآيتين الكريمتين «والقرآن يوجب علينا العدل حتّى مع من نبغضهم ونكرههم وهذه مثالية كريمة في تطبيق العدل وفي ذلك يقول القرآن: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[المائدة/ ٨]، أي لا يحملكم بغضكم قوماً أو عداوتكم لهم على الجور عليهم أو الظلم لهم فلا يجوز أن تمنعوهم حقّاً من حقوقهم أو تكتموا شيئاً ممّا لهم فالعدل واجب عليكم نحوهم في كلّ الأوقات وسائر الأحوال إذ هو أقرب إلى تحقيق تقوى الله تعالى والبعد عن عقابه»[1].

ويمكن لنا أن نستفيد من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ «عدل الإنسان مع سائر المخلوقات من الحيوان والنبات والجماد، وذلك بعدم الإفساد والتجاوز من غير هدف ولا غاية مشروعة»[2]، وعلى

(١) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ج١، ص٢٥ – ٢٦.

(٢) دروس في العقيدة والأخلاق (م.س) ص٢٨١.

هذا فالعدل مفهوم واسع يشمل المعاشرة بالمعروف مع الآباء والأولاد والزوج أو الزوجة والجيران وبقيّة الناس وسائر الحيوان والنبات والجماد وقد أكّد القرآن الكريم على العدل في معاشرة الأزواج لزوجاتهم في أكثر من آية في سورة النساء فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء/ ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء/ ١٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣) وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء/ ٣-٤]، ولتفسير هذه الآيات نطالع تفسير مواهب الرحمان فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ «بيان لأصل من أُصول الحياة وهو الأساس للحياة السعيدة وبيّن في هذه الآية المباركة أنّ الطريق الصحيح هو المعاشرة مع النساء بالمعروف بأن تكون المخالطة والمصاحبة والعيش معهنّ بما هو المعروف بين أفراد المجتمع ولم يعيّن سبحانه وتعالى كيفية ذلك ليكون العرف الذي هو الشائع في كلّ عصر وزمان هو المعتمد في ذلك... قوله تعالى: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ تأكيد لما ذكره عزّوجلّ وهو المعاشرة مع النساء بالمعروف وإيقاظ للشعور الإنساني بأنّ دين الله تعالى لابدّ أن يعمل به بجميع حدوده وقيوده في جميع اتّجاهاته وتبيّن الآية الشريفة حكم الاستمرار في الحياة الزوجية ولو كانت مع الكراهية فإنّها تأمر بالمعاشرة حتّى مع الكراهية وعدم فصم العلاقة الزوجية وقطعها عند أدنى تحوّل في المشاعر والإحساس ويصلح حالها بالصبر وحسن المعاشرة لتعود حياتها إلى

الانتظام وتتهيّأ أسباب السرور والبهجة فإنّ الله تعالى قادر على أن يمنحهما السعادة ويتمتّع الرجل الذي وجد أُموراً يكرهها في زوجته بما فيه خير كثير ممّا يهوِّن عندما شاهد ما كرهه في زوجته وللخير الكثير مظاهر كثيرة منها: إظهار الحقّ وإبطال الباطل، ومنها كثرة النسل والبركة فيه وفي المال، ومنها التخلّق بأخلاق الكرام... والتعليل في الآية الشريفة عام... فهو من الحقائق الواقعية التي كشف عنها القرآن الكريم وهي توقظ روح التعقّل في الإنسان عند استيلاء القوى الشهوية والغضبية عليه وترشده إلى التفكّر في عواقب الأُمور وتروّض النفوس على التخلّق بمكارم الأخلاق وحسن المعاشرة مع النساء... والآية المباركة تبعث الأمل والرجاء عند اليأس في الحياة وعروض المشكلات على الإنسان[١].

وأمّا قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾ «حكم آخر من أحكام النساء وهو لزوم العدل بينهنّ بتطبيق ما شرّع لهنّ على الرجال في أوّل هذه السورة قال تعالى: ﴿ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء/ ٣] وتبيّن الآية الكريمة حقيقة اجتماعية وهي أنّ العدل بالمعنى الحقيقي وهو التساوي بين الطرفين في جميع الجهات بحيث لا يقع ميل إلى جانب في شأن من شؤون الحياة الزوجية كالقسمة أو النفقة والتعهّد والنظر والميل والإقبال والمؤانسة وغير ذلك ممّا لا يكاد الحصر فإنّه ممّا يتعذّر إقامته ولا يتحقّق وإن حرص عليه الرجل كلّ الحرص لوعورة مسلكه ودقّة تطبيقه واشتباه أعلامه فمن الصعب جدّاً تشخيصه خصوصاً في إقبال النفس والميل القلبي اللذين لا يملكهما المرء ولا يتطرّق إليهما الاختيار فلا يقدر أن يملك الآثار الطبيعية المترتّبة عليهما فبيّن عزّوجلّ أنّ العدل بحقيقة معناه الذي أمر الله تعالى بإقامته في حياته الاجتماعية غير مستطاع ولا يتعلّق به التكليف وإنّما الذي يمكن أن

(١) مواهب الرحمان (م.س) ج٧، ص٣٩٨ – ٤٠٠.

يملكه هو أن لا يميل إلى أحد الأطراف... قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ بيان لما يمكن تطبيقه من معنى العدل وهو التسوية بين النساء باتيان حقوقهنّ من غير تطرّف وعدم التعاسر معهنّ ونبذ الإساءة إليهنّ فلا يجور على المرغوب عنها منهنّ بأن يميل كلّ الميل إلى المحبوبة ويعرض عن الأُخرى المرغوبة عنها فيذرها كالمعلّقة لا هي متزوّجة ولا هي مطلّقة وهذا هو العدل الذي يمكن تطبيقه وهو الأقرب إلى العدل الحقيقي الذي نفاه عزّوجلّ عنهم فيكون عدلاً عملياً وأمّا الميل القلبي الذي لا يدخل تحت الاختيار فهو لا يتعلّق به التكليف، وممّا ذكرناه يظهر أنّ صدر هذه الآية ليس في مقام نفي مطلق العدل بحيث إذا انضمّ إليه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء/ ٣]، ينتج إلغاء تعدّد الأزواج [كذا والصواب الزوجات] في الإسلام كما قال بعض المفسّرين فإنّ المنفي هو العدل الحقيقي لا العدل العملي الذي هو الأقرب إلى العدل المأمور به ويستحيل أن يتحقّق تكليف منه عزّوجلّ ولا يمكن تطبيقه.

والحاصل: أنّ العدل المأمور به هو العدل التقريبي وهو العدل العملي قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ تأكيد وترغيب للرجال في الإصلاح إذا ظهر منهم فساد وظلم والضمان في ذلك كلّه هو التقوى التي هي الدعامة الأُولى في تطبيق الأحكام الإلهية وإنّها هي التي تستتبع المغفرة لكلّ ما صدر من حيفٍ وظلم والرحمة بالتفضّل عليهم(١).

وأمّا قوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ فـ «الخطاب متوجّه إلى الجميع والعطف بمعنى التخيير فيكون المعنى المراد بلحاظ الخطاب والعطف

(١) مواهب الرحمان (م.س) ج٩، ص٣٨٨ – ٣٩٠.

بقرينة ذيل الآية الكريمة: لكلّ واحد من المؤمنين أن يختار واحدة إن خاف من الجور والتعسّف وإلّا فاثنتين أو ثلاث أو رباع... قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ المراد من الخوف في هذه الآية المباركة العلم العادي المعبّر عنه بالاطمئنان وإنّما عبّر بالخوف لكون المورد والمتعلّق منشأ للخوف عرفاً والمعنى: إن حصل لكم الاطمئنان في عدم تسوية حقوقهنّ وأن لا تعدلوا بين المتعدّدات فانكحوا وتزوّجوا واحدة منهنّ قوله تعالى: ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ أي من خاف من عدم التقسيط فيهنّ فينكح واحدة من الحرائر أو ما يختار من الإماء ما شاء... قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ العول هو الميل أي تميلوا إلى الجور والمشار إليه في ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ ما تقدّم من الأحكام النظامية... والمعنى أنّكم إذا عملتم بما تقدّم من الأحكام والأُصول النظامية تكونون أقرب إلى الحقّ وعدم الميل إلى الباطل قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾... والأمر متوجّه إلى من استولى على صدقاتهنّ ومهورهنّ زوجاً كان أو غيره بدفع ما استولى منها إليهنّ. والصَدُقات: جمع صَدُقة بفتح الصاد وضمّ الدال وهي كالصداق[1] بمعنى المهر وهو المال... يملّكه الزوج المرأة عند الزواج... والنحلة هي العطية المقصود منها الانتفاع بلا عوض... والمعنى أعطوا النساء مهورهنّ التي جعلتم لهنّ نحلة وعطية أو جعل الله تعالى لهنّ عطية ولا تمنعوهنّ من مهورهنّ شيئاً. قوله تعالى: ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾ أي إن وهبن لكم شيئاً من صداقهنّ وطابت نفوسهنّ إلى الهبة لكم غير كارهات ولا لشكاسة أخلاقكم أو لسوء معاشرتكم حلّ لكم أخذه وأكله... والهنيء والمريء صفتان:

الأُولى: النعمة بلا نكد ولا تعب والثانية السائغة بلا غصّة...»[2]. «ويدلّ قوله

(١) سمّي بذلك لقوّته وأنه حق يلزم . مقاييس اللغة (م.س) ص٥٦٥.

(٢) مواهب الرحمان (م.س) ج٧، ص٢٦٣ – ٢٦٦.

تعالى: ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ على أنّ النكاح ليس من المعاوضة الحقيقية فالصداق نحو نحلة وهدية من الزوج إلى المرأة كما أنّ التعبير بـ ﴿طِبْنَ﴾ يدلّ على اعتبار أن يكون إعطاؤهنّ الصداق للزوج عن جزم وعزم نفساني غير قابل للتبدّل لا مجرّد الإذن الظاهري»[١]. وبهذا القدر من الحديث عن جانب من العدل العملي في حياة الإنسان نكتفي ببيان العدل كَخُلُق من أخلاق الإنسان مع مجتمعه فإنّه إذا بدأ الإنسان بالعدل مع زوجته ثمّ الأقرب فالأقرب فستكون حياته عدلاً في كلّ مفاصلها وقسطاً في كلّ جزئياتها.

وننتقل إلى الحديث عن العدل في أخبار أهل البيت عليهم السلام فننقل بعض ما ورد في ميزان الحكمة[٢].

أ – عن الإمام علي عليه السلام قال «**في قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ **العدل: الإنصاف والإحسان التفضّل**».

ب – عن الإمام علي عليه السلام: «**العدل نظام الأمر**»، فانتظام الحياة العامة يكون بإعطاء كل ذي حق خقه.

ج – عنه عليه السلام أيضاً: «**العدل زينة الإيمان**».

د – سئل الصادق عليه السلام عن صفة العدل في الرجل؟ فقال عليه السلام: «**إذا غضّ طرفه عن المحارم ولسانه عن المآثم وكفّه عن المظالم**»، ويشير هذا الجواب إلى العدل مع الله تعالى، حيث إن له علينا حق الطاعة و هذه العناصر تمثل ذلك الحق ؛ فالقيام بها يكون عدلاً.

---

(١) مواهب الرحمان (م.س) ج٧، ص٢٧٤.

(٢) ميزان الحكمة (م.س) ج٦، ص٨٠ – ٨٥.

٢ – الإحسان

لغة هو «ضدّ الإساءة وهو محسن.. وهو يحسن الشيء إحساناً أي يعلمه»[١]، «وأحسن به الظنّ: نقيض أساءه والفرق بين الإحسان والإنعام أنّ الإحسان يكون لنفس الإنسان ولغيره تقول أحسنت إلى نفسي والإنعام لا يكون إلّا لغيره... وهو يحسن الشيء أي يعمله... وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ﴾ [التوبة/ ١٠٠]، أي باستقامة وسلوك الطريق الذي درج السابقون عليه»[٢]، فالإحسان في اللغة «يعني ضدّ الإساءة ويعني العلم ويعني المتابعة لمن سبقنا من أهل الإيمان مع المراقبة.

وأمّا الفرق بين الإحسان وبين الإنعام وهو أنّ الإنعام يكون بفعل المعروف والحسن للغير بينما الإحسان يشمل فعل الحسن والمعروف للغير وللإنسان نفسه فحينما نتعلّم العلم النافع نكون أحسنا لأنفسنا.

وأمّا في الاصطلاح فلا يبعد معنى الإحسان في اصطلاح علماء الأخلاق عن المعاني المتقدّمة إذ هو «التطوّع بالفضل بعد مراعاة العدل وهو الصنع الجميل والتصرّف الحميد ولذلك جاء قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف/ ٣٠]»[٣]، أي من عمل عملًا حسناً متقناً فالإحسان «يقال على وجهين أحدهما الإنعام على الغير يقال أحسن فلان والثاني: إحسان في فعله وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً وعلى هذا قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**الناس أبناء ما يحسنون**» أي منسوبون إلى ما يعلمون وما يعملونه من الأفعال الحسنة»[٤]. ويمكن أن نتعرّف على

---

(١) القاموس المحيط (م.س) ص١٠٩٦.

(٢) لسان العرب (م.س) ج٢، ص٨٧٨ – ٨٧٩، بتصّرف.

(٣) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ج٢، ص٤٣.

(٤) مفردات الراغب (م.س) ص١١٨.

معنى الإحسان اصطلاحاً من خلال كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل/ ٩٠] العدل: الإنصاف؛ والإحسان: التفضّل[١] فبهذا الكلام نفسرّ الإحسان بالتفضّل على النفس والغير من خلال الإتيان بالأعمال الصالحة سواء كانت واجبة أو مستحبّة فبالواجب نكون أحسنا لأنفسنا بسبب نجاتها يوم الآخرة من العذاب ولم نسئ إليها وكذا بالمستحبّ تفضّلنا على أنفسنا بتقريبها من الثواب ولم نسئ إليها بمزيد من العقاب هذا في الإحسان إلى أنفسنا وأمّا الإحسان إلى الغير ويقال له الإنعام فأيضاً يكون بعدم المساءة إليهم وبالتفضّل عليهم ولذا قال الإمام علي عليه السلام: «**عاتب أخاك بالإحسان إليه واردد شرّه بالإنعام عليه**»[٢] ومن المعلوم «أنّ تاريخ العلاقات الثنائية بين افراد المجتمع يتعرّض للتقصير في الحقوق والإهمال وقد يتطوّر الأمر أحياناً فيصل إلى صدور الإساءة من الأخ والصديق ممّا يترك ألماً في النفس وصدمة وخيبة أمل فيتحرّك الإنسان إلى الانتصار لنفسه عن طريق اللوم والتذكير بالأُخوّة أو المواقف الإيجابية بما يثير كمائن نفس الطرف الآخر فيشعر بالتقصير أو الضغينة والحقد فيزداد شرّاً ويحاول إيقاع الأذى به فلئلّا يتّسع الأمر... جاءت هذه الدعوة إلى الرفق والمعاملة بالأحسن ومقابلة الأذى بالإحسان... عسى أن يرعوي ويتأثّر من هذا الموقف الإيجابي المتبادل به مع ذلك الموقف السلبي فينصلح ويتحسّن وضعه اجتماعياً»[٣].

وأخيراً الإحسان «فوق العدل وذاك أنّ العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ماله والإحسان أن يعطي أكثر ممّا عليه ويأخذ أقلّ ممّا له فالإحسان زائد على العدل فتحرّي

---

(١) نهج البلاغة، دار التعارف، بيروت، ط١ (م.س) قصار الحكم/ ٢٣١، ص٣٨٤.

(٢) نهج البلاغة (م.س) قصار الحكم ١٥٨، ص٣٧٨.

(٣) أخلاق الإمام علي عليه السلام (م.س) ص٢٢٨.

العدل واجب وتحرّي الإحسان ندب وتطوّع»[(١)].

ورد الجذر اللغوي (حسن) في القرآن الكريم في (١٩٤ مورداً)[(٢)] بصيغ مختلفة على النحو التالي:

أ – صيغة الفعل الماضي (٢٠ مرّة).

ب – صيغة الفعل المضارع (مرّتان).

ت – صيغة فعل الأمر (مرّتان).

ث – صيغة المصدر (٤٤ مرّة).

ج – صيغة اسم المصدر (٣١ مرّة).

ح – صيغة الصفة المشبهة (٢٠ مرّة).

خ – صيغة أفعل التفضيل (٣٦ مرّة).

د – صيغة اسم الفاعل (٣٩ مرّة).

ولو تتبّعنا لفظ (الإحسان) ومشتقّاته لوجدناه في (٧٢ مورداً) على النحو التالي:

أ – صيغة الفعل الماضي (١١ مرّة).

ب – صيغة الفعل المضارع (٨ مرّات).

ت – صيغة الفعل الأمر (مرّتان).

ث – صيغة المصدر (١٢ مرّة).

(١) مفردات الراغب (م.س) ص١١٨.
(٢) المعجم المفهرس (م.س) ص٢٠٢ – ٢٠٥.

ج – صيغة اسم الفاعل (٣٩ مرّة).

وهذا العدد يشكّل ما نسبته ٣٧٪ ممّا ورد من الجذر اللغوي (حسن) في القرآن الكريم كما أنّه بالنسبة إلى ورود (العدل) في القرآن الكريم يشكّل نسبة ضعفين ونصف ممّا يوحي لنا بالاهتمام والتأكيد على شيوع الإحسان في المجتمع وألّا نكتفي بالعدل في تدبير شؤون المجتمع فالحياة فيها أخذ وعطاء ضمن الضوابط الشرعية وليست مقاسات على الأمتار أو أوزان حسب المثاقيل فلابدّ من التضحية والتفضّل لتستقيم شؤون المجتمع «ولا عجب في ذلك فعلماء الأخلاق يقولون أنّ الإحسان خُلُق جامع لجميع أبواب الحقائق وفيه لب الإيمان وروحه»(١) وعلى هذا يحمل ما ورد من تفسير الإحسان في كلام للنبي صلى الله عليه وآله حين سئل عنه فقال صلى الله عليه وآله: «**أن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك**»(٢) بمعنى أن تكون عبادتنا لله تعالى عن إيمان بوجوده وعقيدة بوحدانيته وأنّه عزّوجلّ هو المطّلع والعارف بنا وإن لم نكن نعيش هذه الحالة فهو المطّلع علينا أيضاً فإذاً الفرق بين الحالتين هو إيماننا بأنّه المطّلع فهو تعالى الرائي لنا والمطّلع على أعمالنا سواء آمنا بأنّه المطّلع أم لا. وكان هذا الجواب للسائل بعد ما سأله عن الإيمان وعن الإسلام فقال صلى الله عليه وآله في جواب السؤال «**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**»(٣) فحدّد صلى الله عليه وآله الإسلام بهذه الأُمور ثمّ وقع السؤال عن الإحسان فأجاب صلى الله عليه وآله بما تقدّم إذاً كان صلى الله عليه وآله في مقام بيان العبادة حقّ العبادة والاتقان في العمل الخالص لوجه الله تعالى وعدم الإساءة في أي فعل لأنّ الله تعالى هو المراقب لنا في كلّ تصرّفاتنا فهذا يجعلنا نأتي بالأعمال الحسنة

---

(١) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ص٤٣.

(٢) صحيح البخاري (م.س) ج٦، ص٢٠.

(٣) صحيح البخاري (م.س) ج٦، ص٢٠.

زيادة على الواجب والعدل كلّ ذلك طلباً لمرضاة الربّ تعالى شأنه ولئلّا نقع موقع الذمّ والرفض من قبل الباري عزّوجلّ ويؤكّد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران/ ١٣٣ – ١٣٤] فإنّه دعوة إلى المغفرة وبطاقة دخول إلى الجنّة بشرط أن يكون العبد حاملاً للأوصاف التالية:

أ – المنفق في السرّاء أي حالة (المسرّة)[١]، وفي الضّراء أي حالة (الزمانة [وهو المرض] والشدّة والنقص في الأموال والأنفس)[٢].

ب – الكاظم للغيظ أي (ردّه وحبسه)[٣]، والغيظ هو (الغضب أو أشدّه)[٤]، «والفرق بين الغضب والغيظ أنّ الغضب ضدّ الرضا... والغيظ هو هيجان الطبع بكره ما يكون من المعاصي»[٥] فالمراد حبس نفسه عن الغضب فلا يثور أمام من أساء إليه بل يحافظ على هدوئه.

ج – العافي عن الناس بالتجاوز عن إساءة المسيئين وترك عقوبتهم.

د – المحسن أي فاعل الإحسان وهذا اختصّ بمحبّة الله تعالى ويعني أنّه تعالى «يريد إثابتهم وتنعيمهم والمحسن يحتمل أمرين أحدهما: من هو منعم على غيره على وجه عارٍ من وجوه القبح ويحتمل أن يكون مشتقّاً من الأفعال الحسنة التي منها الإحسان إلى

(١) القاموس المحيط (م.س) ص٣٧٩.
(٢) القاموس المحيط (م.س) ص٣٩٩.
(٣) القاموس المحيط (م.س) ص٦٤٣.
(٤) القاموس المحيط (م.س) ص١٠٦٤.
(٥) التبيان (م.س) ج٢ ، ص٥٩٤، بتصّرف.

الغير وغير ذلك من وجوه الطاعات والقربات»[١] فالله تعالى يحبّ المحسن سواء كان لنفسه أم لغيره فمبدأ الإحسان هو المحبّب إلى الله تعالى. وفي هذا السياق ما قاله الإمام الصادق عليه السلام عن الإحسان في قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة/ ٨٣] «**الإحسان أن تحسن صحبتهما وأن لا تكلّفهما أن يسألاك شيئاً ممّا يحتجّان إليه وإن كانا مستغنين أليس يقول الله عزّوجلّ:** ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران/ ٩٢]»[٢] إذ يمثّل هذا التصرّف مع الوالدين غاية الأدب والتفضّل والمعاملة الحسنى مع من لهما الفضل على الإنسان.

٣ - الوفاء:

لغة: هو «إتمام العهد وإكمال الشرط»[٣]، «وفى بالعهد وفاء ضد غدر»[٤].

اصطلاحاً: لا يبتعد المعنى اصطلاحاً عن المعنى لغة فإنّ الإنسان إذا أتمم العهد الذي أخذه على نفسه ولم ينقض حفظه وقام به فيكون قد وفى به وضدّه الغدر وهو ترك العهد وعدم إتمامه. فلذا ورد تعريفه في اصطلاح علماء الأخلاق بأنّه «ملازمة طريق المواساة والمحافظة على عهود الخلطاء»[٥] فينفذها ولا يتركها.

وقد ورد الجذر اللغوي (وَفَي) في القرآن الكريم في (٦٦ مورداً)[٦] على النحو التالي:

أ - صيغة الفعل الماضي (١٠ مرّات).

---

(١) التبيان (م.س)، ج٢ ص٥٩٤.
(٢) الكافي (م.س) ج٢، باب البرّ بالوالدين، ح١، ص١٥٧.
(٣) مقاييس اللغة (م.س) ص١٠٦٠.
(٤) القاموس المحيط (م.س) ص١٢٣٣.
(٥) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ج٢، ص١٩٤.
(٦) المعجم المفهرس (م.س) ص٧٥٦ - ٧٥٧.

ب – صيغة الفعل المضارع (٣٧ مرّة).

ت – صيغة الفعل الأمر (١٤ مرّة).

ث – صيغة اسم الفاعل (٣ مرّات).

ج – صيغة أفعل التفضيل (مرّتان).

وممّا يلاحظ أنّ صيغة أفعل التفضيل جاءت منسوبة إلى الله تعالى. ففي [آية ١١١ من سورة التوبة:] ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ تحدّث القرآن الكريم عن «أنّه لا أحد أوفى بعهده ولا أصدق في إنجاز وعده من الله جلّ جلاله فهو القادر المتمكّن من الوفاء وهو أصدق الواعدين وأوفى المعاهدين»[1]. فحصر أفعل التفضيل في الوفاء بالله تعالى كما أنّ الجزاء الذي يعطيه الله تعالى يوم القيامة هو الجزاء الأوفى والأتم ففي [آية٤١ من سورة النجم:] ﴿ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ فالله جلّ جلاله: «يوفي كلّ إنسان حقّه سواء كان مستقيماً أم منحرفاً صالحاً كان أم طالحاً فكلّ واحد منهم وما يستحقّه ويليق به يقول جلّ جلاله في [سورتي البقرة آية ٢٨١ وآل عمران آية ١٦١] ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾»[2].

وتحدّث القرآن الكريم عن صفة الوفاء في المؤمنين في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران/ ٧٦] ففرّق بين الوفاء بالعهد والتقوى ممّا يوحي بأنّ على المؤمنين المتّقين أن يوفوا بعهودهم ولا يغدروا لذا خاطب المؤمنين [في سورة المائدة آية ١] بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾فكلّ عقد كان بين المؤمن وغيره أو كان بين المؤمن وربّه فعليه أن يتمّه ولا

(١) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ج٢، ص١٩٥.
(٢) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ص١٩٥.

يتركه وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام/ ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾ [الحجّ/ ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[النحل/ ٩١].

ويلاحظ أنّ القرآن تحدّث عن الوفاء بالعقود والعهود والمعاملات الجارية بين الناس في عشر مواطن بصيغة فعل الأمر ممّا يدلّنا على ضرورة الالتزام بهذه الخصلة وأن تكون شعار المؤمنين وليس كما يلاحظ على من يسمّون بالمؤمنين أنّهم ينكثون بعهودهم ويغدرون ويعتبرون هذا التصرّف من الذكاء والشطارة في الحياة. وقد حذّرنا أمير المؤمنينعليه السلام من الغدر ونهانا عنه في الخطبة (٤١) في نهج البلاغة فقال: «**أيّها الناس إنّ الوفاء توأم الصدق،** [التوأم الذي يولد مع الآخر في حمل واحد] **ولا أعلم جُنَّةً أوقى منه** [الجنّة بالضم: الوقاية، وأوقى منه أي أشد وقاية وحفظاً] **وما يغدر من علم كيف المرجع** [المرجع أي يوم القيامة] **ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثر أهله الغدر كيساً** [الكيس بالفتح: الفطنة والذكاء، هذا في زمانه آنذاك فكيف بزماننا نحن!] **ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة. ما لهم! قاتلهم الله! قد يرى الحُوّل القُلَّب** [بضم الأوّل وتشديد الثاني من اللفظين هو: البصير بتحويل الأُمور وتقليبها] **وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها**[أي فيتركها] **رأي العين بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين** [الحريجة: التحرّج والتحرّز من الآثام]»[1].

فالإمام عليعليه السلام يعتبر أنّ الغدر من شيم الجاهلين وأخلاق الفاسقين لأنّه به تنهدم أواصر المحبّة بين أفراد المجتمع وتشيع روح الانتقام وتفكّك المعاهدات والعقود، نعم يقول الإمام عليعليه السلام: «**الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند**

(١) نهج البلاغة (م.س) الخطبة ٤١، ص٤٤.

الله»[١] ويمكن تفسيرها على أساس القانون الدولي المعروف: (المعاملة بالمثل) «إنّ هذه الحكمة تتّسم بطابع القانون والمنهج الذي يقوّم حياة الفرد ويصلح المجتمع... فالدعوة تحذّر من أن يفي أحد لمن غدر ونقض العهد لأنّ ذلك تشجيع وإنماء له وهو ما يتعارض مع التعاليم الشرعية التي تشجب الغدر وتعارضه... كما تبيّن الحكمة أنّ عدم الالتزام مع الذي لا يلتزم [الغادر] لا يشكّل حالة سلبية مطلقاً بل هو الوفاء بعينه إذ قد وفى لله تعالى بما أعطاه من ميثاق التديّن بشرائعه وتعاليمه الشرعية وكان منها ذمّ الغدر وكلّ ما يتّصل به فالحكمة تدعو إلى أن يلتزم كلّ موقعه المناسب في الحياة العملية من أجل تعميم الالتزام الشرعي»[٢] نسأله تعالى أن يجعلنا من الموفين بالعهد والمنفّذين للوعد.

وفي ختام البحث عن (الأخلاق في القرآن الكريم) يحسن بنا التعرّف وفهم ما ورد في سورة الفرقان من صفات عباد الرحمان كنموذج للإنسان المتّقي فنثقّف أنفسنا بالقرآن الكريم وبمعارفه وعلومه فهو دستور الحياة السعيدة ومنهاج العمل السليم فمن يتبعه يأت ربّه بقلب سليم في ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء/ ٨٩] سائلين المولى عزّوجلّ أن يجعلنا من ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾[الزمر/ ١٨] والآيات التي ورد فيها صفات عباد الرحمن هي:

١ – التعامل مع المحيط من خلال نبذ العنف في الحركة والخطاب.

أ – قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان/ ٦٣] وصف عباد الله بأنّهم الذين يمشون على

(١) نهج البلاغة (م.س) قصار الحكم ٢٥٩، ص٣٨٧.
(٢) أخلاق الإمام علي عليه السلام (م.س) ص٤١٧ – ٤١٨.

الأرض هَوْناً أي على سكينة ووقار بحسن السلوك بالأخلاق الفاضلة وكريم الأدب مع النفس وبحسن الاجتماع مع الناس مع التوقّي من التسرّع في الجواب والرد على الجاهلين بل يجيبون بما فيه السلام حسب الظروف حفظاً للنفوس.

٢ - التعامل مع الله تعالى بالبعد عن الرياء والتعوذ من النار.

ب - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان/ ٦٤ - ٦٦] هذه المظاهر الحقيقية للعبودية لله تعالى ولعبادته الخالصة وللرهبة منه فالإخلاص في العبادة يقتضي الابتعاد عن الرياء فيغتنم المؤمن ساعات الليل لينشط في عبادة ربّه كلّ ذلك خوفاً من نار جهنّم فيدعو ربّه أن يصرف عنه عذابها لأنّه كان غراماً أي عذاباً لازماً لا يفنى إن كان الإنسان مخلَّداً فيها وإن لم يخلد فهي ساءت مستقرّاً للإنسان المتعب في دنياه الذي يحلم بالراحة وكذا ساءت مقاماً فلا يتحمّل المتعب في دنياه أن يقيم في النار.

٣ - التعامل بمراعاة الأولوية.

ج - قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان/ ٦٧] تعليم فائق في تدبير المعيشة وبالإنفاق حسب الحاجة والحكمة فقد تكون الحاجة موجودة ولكن نظام الأولويات يقتضي عدم الإنفاق وبعض المصروفات يمكن تأجيلها فالحكمة تدعو إلى الأخذ بنظام وسط بين الإسراف وهو تجاوز الحد وبين التقتير وهو التضييق وهذا النظام الوسط عبّر عنه القرآن بالقَوَام أي العدل وما يعاش به فهو مشتق من قام بمعنى انتصب فلا يميل إنفاقه إلى جهة الإسراف أو التقتير بل يبقى منتصباً عدلاً لا اعوجاج فيه.

٤- التحذير من بعض الذنوب وجزاؤها.

د – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ [الفرقان/ ٦٨ – ٦٩] حوت الآيتان المباركتان على التحذير من ثلاثة ذنوب كبار وهي:

١ – **الشرك بالله.**

٢ – **قتل النفس المحترمة.**

٣ – **الزنا** وبيّنت أنّ مصير فاعلها العذاب المضاعف مع الخلود فيها مهاناً أي يكون ذليلاً ومحقّراً.

لكن الآية المباركة التالية استثنت التائبين من خلال:

هـ – قوله تعالى: ﴿ مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان/ ٧٠ – ٧١]،]. ومتاباً: رجوعا عن المعصية الى الله.[1]

إعلان من الله تعالى إلى الذين أذنبوا بأن يعودوا إلى الله تعالى ويتوبوا من ذنوبهم فالتوبة تعني الرجوع عن المعصية فيتوب الله عليه بأن وفّقه للطاعات وألهمه التوبة والندم على ما فرّط في جنب الله تعالى بشرط أن يعمل صالحاً فإنّ الجنّة لا تنال إلّا بالعمل مع رحمة الله تعالى بعباده التائبين الصادقين بتوبتهم.

و– قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴾

(١) لسان العرب (م.س) مادة توب: ج١، ص٤٥٤.

[الفرقان/ ٧٢] فالمؤمن يشعر بمسؤولية الشهادة فلا يدلي بشهادة باطلة ولا يشهد مجلس الزور أي مجلس الباطل والميل عن الحقّ وشهادة زور تعني الشهادة الباطلة والمنحرفة عن الحقّ. ولا يفعل المؤمن اللغو وهو ما لا فائدة فيه لأنّه يعرف قيمة نفسه فلا يبذلها فيما لا نفع فيه ويعرف قيمة وقته فلا يصرفه فيما لا فائدة فيه ولذا نجد أنّ القرآن يمدحه في:

ز – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ [الفرقان/ ٧٣] فالمؤمن حين تنصب له الآيات الدالّة على عظمة الباري تعالى والعلامات المشيرة إلى سبيل الله نظر فيها وأمعن الفكر وتدبّر في معناها ولم يفعل كفعل المشركين من العبادة بلا وعي فإنّهم صم لا يسمعون الحقّ وعميان فلا ينظرون إلى الحقّ بل تنوّر قلب المؤمن فإذا هو يسمع آيات الله تتلى عليه ازداد إيماناً وعملاً بقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال/ ٢] ويدعون ربّهم بشتّى الدعوات لحوائجهم بعد أن عرف الإيمان طريقه في قلوبهم وذلك كما يحدّثنا:

ح – قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان/ ٧٤] فهم يدعون الله في أهم شيء تقرّ به العيون وتسرّ به النفوس وهو أن يهبهم القرّة للعين من الأزواج والذرّيات والذي من خلالهما يحفظ الإنسان ويدوم ذكره في الذرّية ويحفظ الإنسان نفسه في زوجته إن كان الداعي ذكراً وفي زوجها إن كان الداعي أُنثى والغاية ليكون المؤمن إماماً أي قدوة صالحة بأفعاله وبأخلاقه للمتّقين ويكون دليلاً مرشداً للمؤمنين إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة. وتأتي البشارة من الله لعباده المتّقين من خلال:

ط - قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان/ ٧٥ - ٧٦] والغرفة هي المنزلة العالية في الجنّة لمن اتّقى ربّه فجاء بالطاعات واجتنب المعاصي وتخلّق بالأخلاق الحميدة.

لنلحظ مرّة أُخرى هذه الآيات ونتمعّن في معناها ونجري مقارنة بين الجنّة وجهنّم وقد ورد ذكرهما ففي الجنّة قال تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ فالنعيم فيها دائم لا زوال له والجنّة تصلح كمستقرّ حسن ومقام جميل بينما جهنّم ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ فعذاب جهنّم لازم كما إنّها مكان سيّئ ومستقر قبيح ومقام مذموم[1].

نسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة وبهذا يتم دراسة الفصل الأول من الأخلاق الإسلامية لهذه المرحلة.

السيد محمد هادي الموسوي الخرسان

بيروت - الثلاثاء

٣٠/ ١١/ ١٤٢٥هـ، ١١/ ١/ ٢٠٠٥ م

---

(١) يلاحظ المصادر التالية:

أ - تفسير التبيان (م.س) ج٧، ص٥٠٢ - ٥١٤.

ب - الرحلة المدرسية: البلاغي، محمّد جواد (ت١٣٥٢هـ)، دار المرتضى، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ص٢٢٢ - ٢٢٥.

ج - القاموس المحيط (م.س).

د - مقاييس اللغة، (م.س).

البحث الثاني

الأخلاق في السنّة المباركة

تمهيد

السّنة المباركة هي: قول المعصوم عليه السلام وفعله وتقريره. وتشكّل مع الكتاب العزيز المنبع الصافي للشريعة الإسلامية بكلّ تفاصيلها ومن تلك التفاصيل الأخلاق – وهي موضوع بحثنا – لا يخفى أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله مع آله الكرام عليهم السلام يمثّلون الأخلاق الحميدة في حياتهم العملية ويجسّدونها في حركتهم اليومية. ولذا مدح الله تعالى نبيّنا الأعم صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم/ ٤] وذلك على تحمّله للمعاناة التي كان يلاقيها في أدائه للرسالة الإسلامية ولسوء معاشرة الناس معه صلى الله عليه وآله وكان صلى الله عليه وآله يتحمّل ويصبر في سبيل إعلاء كلمة الإسلام وكان يعيش مع الناس في آلامهم وآمالهم حتّى قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[التوبة/ ١٢٨] الأنْفُس جمع نَفْس وهي الروح والواحد من البشر. «ومعنى ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ أي إنّكم ترجعون إلى نفس واحدة كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف/ ١١٠]... وإنّما ذكر ذلك لأنّه أقرب إلى الأُلفة... وأسرع إلى فهم الحجّة»[1].

«ولم يقل جاءكم رسول منكم ولكن قال ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ وهي أشدَّ حساسيةً

(١) التبيان (م.س) ج٥، ص٣٢٨.

وأعمق صلةً وأدلّ على نوع الوشيجة [العلاقة والصلة] التي تربطهم به فهو بضعة من أنفسهم تتّصل بهم صلة النفس بالنفس وهي أعمق وأحسن»[١] هذا بناءً على قراءة [كذا والصواب قراءة] ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ بضمّ الفاء «وقُرئ ﴿أَنفَسِكُمْ﴾ [بفتح الفاء] أي من أشرفكم وأفضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام وعائشة»[٢] فالأنفس بفتح الفاء أفعل تفضيل من الفعل نَفُسَ الشيء فهو نفيس أي ممّا يتنافس فيه ويرغب فيه[٣] فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو أشرف المخاطبين وأفضل الناس لأنّه هو الأكمل ولا أحد من البشر أكمل منه. (وقوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ أي شديد عليه لأنّه لا يقدر على إزالته... وقوله ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ يعني ما يلحقكم من الأذى الذي يضيق به الصدر ولا يهتدي للخروج منه... والعَنَتُ لقاء الشدّة... وقوله ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ فالحرص شدّة الطلب للشيء على الاجتهاد فيه والمعنى حريص عليكم أن تؤمنوا... ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أي رفيق بهم ورحيم عليهم)[٤] وكانت رحمة النبي صلى الله عليه وآله بالمؤمنين وحرصه عليهم ليجمعهم ولا يتفرّقون، وليقرّبهم إلى الإيمان ولا يبتعدون عنه فالناس إذا وجدوا الصدر الرحب والخُلُق السامي في الداعي إلى الله تعالى استأنسوا به والتفّوا حوله وآمنوا بدعوته وهذا ما أشارت إليه الآية الشريفة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] فالآية الشريفة تتحدّث عن خُلُق النبي صلى الله عليه وآله مع أصحابه، وكيف كان يواجه الأُمور بصبر ولين ورحمة ولنقرأ تفسير هذه الآية في تفسير التبيان «قوله ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ معناه فبرحمة من الله... وقوله ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ فالفظّ: الجافي،

(١) في ظلال القرآن (م.س) ج١١، ص٨٧.
(٢) الكشّاف (م.س) م٢، ص٣٢٥.
(٣) القاموس المحيط (م.س) ص٥٣٤.
(٤) التبيان (م.س) ج٣، ص٣١.

والغليظ القلب: القاسي... إنّما جمع بين الصفتين مع اتّفاقهما في المعنى لإزالة التوهّم أنّ الفظاظة في الكلام دون ما ينطوي عليه القلب من الحال[1].

فالله تعالى بيّن لنبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله أنّ الجفاء في الكلام والتعامل مع الآخرين يسبّب الابتعاد عنه وهذا أمر طبيعي قامت عليه طبيعة الإنسان، فالإنسان ينفتح على الآخرين ويقبل على غيره إذا وجد المعاملة الحسنة والسلوك القويم من اللين في الكلام والسماحة في المعاملة والرقّة في القلب وبناء على هذا فالنبي صلى الله عليه وآله «لو كان فظّاً غليظ القلب ما تألّفت حوله القلوب ولا تجمّعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة... في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم... وهكذا كان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وهكذا كانت حياته مع الناس ما غضب لنفسه قط ولا ضاق صدره بضعفهم البشري، ولا احتجز لنفسه شيئاً من أعراض هذه الدنيا بل أعطاهم كلّ ما ملكت يداه في سماحة ندية ووسعهم حلمه وبرّه وعطفه وودّه الكريم، وما من واحد منهم عاشره أو رآه إلّا امتلأ قلبه بحبّه نتيجة لما أفاض عليه من نفسه الكبيرة الرحيبة وكان هذا كلّه رحمة من الله به وبأُمّته»[2].

فعلينا أن نتعلّم من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله الدروس ونطبّقها في حياتنا اليومية لننال رضوان الله تعالى ونكون ممّن امتثل قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٢١] وعلينا أن نقتدي به وبآله الكرام عليهم السلام فهم القدوة الصالحة والأُسوة الحسنة وقد حرص أئمّتنا عليهم السلام على التطبيق العملي والسلوك الصحيح في حياتنا اليومية لنكون الدعاة إلى الله وإلى الإسلام والإيمان ونكون المثال الصالح للمسلم الصحيح والمؤمن الحقيقي الذي يبعثه إيمانه

(١) التبيان، (م.س)، ج٣، ص٣١.

(٢) في ظلال القرآن، (م.س)، ط٧، ج٢، ص١١٨.

وإسلامه على تطبيق الأحكام الشرعية.

فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع**»(١) ومعناه أن ندعو الناس إلى الإيمان والإسلام بالطريقة العملية الصحيحة والسلوك الحسن الذي نسير عليه وأُسس هذا السلوك يقوم على ثلاثة أُسس:

١ – الاجتهاد وهو بذل الجهد والطاقة في سبيل معرفة الشريعة عقيدة وعملاً وتطبيقها.

٢ – الصدق في الكلام والمعاملة فلا كذب ولا غش ولا خديعة وغير ذلك.

٣ – الورع عن محارم الله وهو الابتعاد عن كلّ ما حرّمه الله تعالى علينا.

وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى القدوة الصالحة وهذه الأُسس الثلاثة في سلوك المؤمن الصحيح بقوله في نهج البلاغة: «**ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدى به ويستضئ بنور علمه ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطُمريه** [أي بثوبيه الباليين] **ومن طُعمه بقُرصيه** [أي رغيفين] **ألا وأنّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسَداد** [السَداد التصرّف الرشيد]»(٢). فإذا كان سلوك المؤمن صحيحاً تأثّر الناس به وتحبّبوا إليه وكان المؤمن داعية إلى الله تعالى بغير لسانه فربما يكون الإنسان داعية إلى الله باللسان دون التطبيق العملي فهنا لا تؤثّر دعوته وموعظته. بعد هذا التمهيد يمكن أن نجعل هذا البحث في محورين:

المحور الأوّل: العناوين العامّة للأخلاق نحو عنوان مكارم الأخلاق والفضائل والرذائل ووزراء الأخلاق وغيرها ممّا تضمّن أكثر من خصلة.

(١) الأُصول الستّة عشر: مجموعة من المحدّثين، دار الشبستري قم، ط٢، ١٤٠٥هـ، ص١٥١.

(٢) نهج البلاغة (م.س) الكتاب٤٥، ص٣١٢.

المحور الثاني: العناوين الخاصّة نحو الصدق والعدل والغيبة وغيرها ممّا تناول كلّ خصلة خصلة.

المحور الأوّل: العناوين العامّة للأخلاق

حين نتفحّص كتب الأحاديث بحثاً عن العناوين العامّة للأخلاق نجد باقة من العناوين التي تتحدّث عن الأخلاق وتصنيفها إلى أصناف كثيرة ولّما كانت هذه العناوين كثيرة سنقتصر في الشرح على بعضها انسجاماً مع المنهج وسنورد هذه العناوين التي عثرنا عليها حسب الحروف الهجائية:

١ - **الأبعد عن رسول الله** صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «**ألا أُخبركم بأبعدكم منّي شبهاً قالوا بلى يارسول الله قال: الفاحش، المتفحّش، البذيء، البخيل، المختال، الحقود، الحسود، القاسي القلب، البعيد من كلّ خير يرجى، غير المأمون، من كلّ شرّ يُتّقى**»[١].

٢ - **أحسن الأخـلاق:** عن الإمـام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «**أحسن الأخـلاق ما حملك على المكارم**»[٢].

٣ - **أربع خصال مَنْ كُنَّ فيه كَمُلَ إسلامه:** عن علي بن الحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: «**أربع مَنْ كنّ فيه كمل إسلامه ومُـحِّصَتْ عنه ذنوبه ولقي ربّه عزّوجلّ وهو عنه راضٍ: مَنْ وفى لله عزّوجلّ بما يجعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس واستحيى من كلّ قبيح عند الله وعند الناس، وحسُن خُلُقُه مع أهله**»[٣].

٤ - **أربع مَنْ كُنّ فيه فهو منافق:** عن النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: «**أربع مَنْ كُنّ فيه فهو منافق**

---

(١) ميزان الحكمة (م.س) ج٣، ص١٥٥.

(٢) ميزان الحكمة (م.س) ج٣، ص١٥٦.

(٣) الخصال: الشيخ الصدوق، محمد بن علي (ت ٣٨١هـ)، تح. علي أكبر الغفاري، ح٥٠، ص٢٢٢.

وإن كانت فيه واحدة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتّى يدعها: مَنْ إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(١).

٥ - **أربع مَنْ يكُنَّ فيه كَمُلَ إسلامه:** عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ياعلي أربع مَنْ يكُنّ فيه كَمُلَ إسلامه: الصدق، والشكر، والحياء، وحسن الخلق**»(٢).

٦ - **أربعة لا ينظر الله إليهم:** عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**أربعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: «عاقٌ ومنّانٌ ومكذّبٌ بالقدر ومدمن خمر**»(٣).

٧ - **أزين الأخلاق:** عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**إنّ أزين الأخلاق الورع والعفاف**»(٤).

٨ - **الأشبه برسول الله صلى الله عليه وآله في الأخلاق:** عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ألا أُخبركم بأشبهكم بي أخلاقاً** قالوا بلى يارسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **أحسنكم أخلاقاً وأعظمكم حلماً وأبرّكم بقرابته وأشدّكم إنصافاً من نفسه في الغضب والرضا**»(٥).

٩ - **أشرف الخلائق:** عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**أشرف الخلائق التواضع والحلم ولين الجانب**»(٦).

---

(١) الخصال (م.س) ح١٢٩، ص٢٥٤.
(٢) تحف العقول: ابن شعبة (ق٤هـ)، تق. محمّد حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٥، ص١٥.
(٣) الخصال (م، س.) ح١٨، ص٢٠٣.
(٤) ميزان الحكمة (م.س) ج٣، ص١٥٦.
(٥) تحف العقول (م.س) ص٤٠.
(٦) ميزان الحكمة (م.س) ج٣، ص١٥٦.

١٠ – أفضل الأخلاق:

أ – عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**السخاء والحياء أفضل الخُلُق**»[١].

ب – عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «سُئل عن أفضل الأخلاق فقال: **الصبر والسماحة**»[٢].

١١ – أفضل الفضائل:

أ – عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**أفضل الفضائل صلة المهاجر، وإيناس النافر، والأخذ بيد العاثر**»[٣].

ب – عنه عليه السلام أيضاً قال: «**أفضل الفضائل: بذل الرغائب وإسعاف الطالب والإجمال في المطالب**»[٤].

ج – عنه عليه السلام أيضاً قال: «**من أفضل الفضائل: اصطناع الصنائع وبثّ المعروف**»[٥].

د – عنه عليه السلام أيضاً قال: «**حفظ اللسان وبذل الإحسان من أفضل فضائل الإنسان**»[٦].

١٢ – ثلاث جزاؤهنّ جهنّم: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ثلاث إذا كُنّ في الرجل فلا تحرّج أن تقول إنّه في جهنّم: الجفاء والجبن والبخل، وثلاث إذا كُنّ في امرأة فلا تحرج أن تقول إنّها في جهنّم:**

(١) ميزان الحكمة (م.س) ج٧، ص٤٩٥.

(٢) ميزان الحكمة (م.س) ج٣، ص١٥٦.

(٣) ميزان الحكمة (م.س) ج٧، ص٤٩١.

(٤) ميزان الحكمة (م.س) ج٧، ص٤٩١.

(٥) ميزان الحكمة (م.س) ج٧، ص٤٩١.

(٦) ميزان الحكمة (م.س) ج٧، ص٤٩١.

البذاء والخيلاء والفخر [والفجر]»[١].

١٣ - **ثلاث خصال عظام:** من وصيّة النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «**أنهاك عن ثلاث خصال عظام: الحسد، والحرص، والكذب**»[٢].

١٤ - **ثلاث خصال لا يجمعها الله لمنافق أو فاسق:** روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لا يجمع الله تعالى لمنافق ولا فاسق حُسْنَ الخُلُق، والفقه، وحُسن السّمت أبداً**»[٣].

١٥ - **ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ حتّى يرى وبالهنّ:** عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أنّه في كتاب علي عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبهنّ أبداً حتّى يرى وبالهنّ: البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله فيها**»[٤].

١٦ - **ثلاث من أبواب البرّ:** مِنْ وصيّة النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «**ثلاث من أبواب البرّ: سخاء النفس وطيب الكلام والصبر على الأذى**»[٥].

١٧ - **ثلاث مَنْ مكارم الأخلاق:** ومن وصيّته صلى الله عليه وآله أيضاً: «**ثلاث من مكارم الأخلاق: تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمّن ظلمك**»[٦].

١٨ - **ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: «**تعفو عمّن ظلمك وتصل مَنْ قطعك وتحلم إذا جُهل**

---

(١) الخصال (م.س) ح٢٠٤، ص١٥٨.
(٢) الخصال (م.س) ح١٢١، ص١٢٤.
(٣) الخصال (م.س) ح١٢٦، ص١٢٧.
(٤) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح٤، ص٣٤٧.
(٥) تحف العقول (م.س) ص١٤.
(٦) تحف العقول (م.س) ص١٤.

عليك»(١).

١٩ - خصلتان لا تجتمعان في مسلم: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**خصلتان لا تجتمعان في مسلم: البخل وسوء الخلق**»(٢).

٢٠ - خصلتان لا تجتمعان في قلب عبد: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبداً**»(٣).

٢١ - الخصال التي يجب على المؤمن تجنّبها: عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**البغي، والبخيل، والدناءة، والخيانة، والغش، والحقد، والظلم والشره، والخُرق، والعُجب، والكِبر، والحسد، والغدر الفاشي، والكذب، والغيبة، والنميمة، والمكايدة، وسوء الظنّ، ويمين البوار، والنفاق، والمنّة، وجحود الإحسان، والعجز، والحرص، واللعب، والإصرار، والقطيعة، والمزاح، والسفه، والفحش، والغفلة عن الواجب، وإذاعة السرّ**»(٤).

٢٢ - خمس خصال يدعو إليها عالم نجلس عنده: عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لا تجلسوا إلّا عند كلّ عالم يدعوكم من خمس إلى خمس: من الشكّ إلى اليقين ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الرهبة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الغش إلى النصيحة**»(٥).

٢٣ - خيار العباد: عن النبي صلى الله عليه وآله هم: «**الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا**

---

(١) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح٣، ص١٠٧.
(٢) الخصال (م.س) ح١١٧، ص٧٥.
(٣) الخصال (م.س) ح١١٨، ص٧٥.
(٤) إعلام الدين في صفات المؤمنين: الديلمي: حسن (ق٨ هـ)، تح. مؤسّسة أهل البيت، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، ص١١٨.
(٥) إعلام الدين (م.س) ص٢٧٢.

استغفروا وإذا أُعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا»(١).

٢٤ – رأس الفضائل: عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**رأس الفضائل ملك الغضب وإماتة الشهوة**»(٢).

٢٥ – الذنوب: وهي بحسب نتائجها أنواع نذكرها بالترتيب كما جاءت في الرواية عن الإمام السجّاد عليه السلام:

أ – الذنوب التي تغيّر النعم: «**البغي على الناس والزوال عن العادة في الخير واصطناع المعروف وكفران النعم وترك الشكر قال الله عزّوجلّ ﴿إِنَّ الله لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِم﴾** [الرعد/ ١١]».

ب – الذنوب التي تورث الندم: «**قتل النفس التي حرّم الله قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ ﴾** [الإسراء/ ٣٣] **وقال الله عزّوجلّ في قصّة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه... ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾** [المائدة/ ٣١] **وترك صلة القرابة حتّى يستغنوا، وترك الصلاة حتّى يخرج وقتها وترك الوصية وردّ المظالم ومنع الزكاة حتّى يحضر الموت وينغلق اللسان**».

ج – الذنوب التي تنزل النقم[الانتقام والعقوبة]: «**عصيان العارف بالبغي والتطاول على الناس والاستهزاء بهم والسخرية منهم**»، للعارف معنيان :عام وهو العالم، وخاص وهو الشيعي الإثني عشري . فالإمام عليه السلام ينهى عن ممارسة هذه الأمور مع الناس لأنها توجب ردات فعل قد لا تخصّ الفاعل نفسه، وتوجب النقمة ولها علاقة بالمجتمع.

(١) الخصال (م.س) ح٩٩، ص٣١٧، وأصول الكافي(م.س) ج٢،ص٢٤٠، ح٣١.
(٢) ميزان الحكمة (م.س) ج٧، ص٤٩٢.

د – الذنوب التي تدفع القَسم [النصيب من الخير]: «**إظهار الافتقار والنوم من العتمة وعن صلاة الغداة واستحقار النعم وشكوى المعبود عزّوجلّ**».

هـ – الذنوب التي تهتك العِصَم [جمع العِصْمة: المنع والصيانة والكرامة]: «**شرب الخمر واللعب بالقمار وتعاطي ما يضحك الناس من اللغو والمزاح وذكر عيوب الناس ومجالسة أهل الريب**».

و – الذنوب التي تنزل البلاء: «**ترك إغاثة الملهوف وترك معاونة المظلوم وتضييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**».

ز – الذنوب التي تديل الأعداء: [أي تعطي الدولة والقيادة للأعداء] **المجاهرة بالظلم وإعلان الفجور وإباحة المحظور وعصيان الأخيار والانطياع للأشرار** [أي الانقياد لهم]».

ح – الذنوب التي تعجّل الفناء: «**قطيعة الرحم واليمين الفاجرة والأقوال الكاذبة والزنا وسدّ طرق المسلمين وادّعاء الإمامة بغير حقّ**».

ط – الذنوب التي تقطع الرجاء: «**اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله والثقة بغير الله والتكذيب بوعد الله عزّوجلّ**».

ي – الذنوب التي تظلم الهواء: «**السِحْر والكهانة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقَدَر وعقوق الوالدين**».

يا – الذنوب التي تكشف الغطاء: «**الاستدانة بغير نيّة الأداء والإسراف في النفقة على الباطل والبخل على الأهل والولد وذوي الأرحام وسوء الخُلُق وقلّة الصبر واستعمال الضَجَر والكسل والاستهانة بأهل الدين**».

يب – الذنوب التي ترد الدعاء: **«سوء النيّة وخبث السريرة والنفاق مع الإخوان وترك التصديق بالإجابة وتأخير الصلوات المفروضات حتّى تذهب أوقاتها وترك التقرّب إلى الله عزّوجلّ بالبرّ والصدقة واستعمال البذاء والفحش في القول»**.

يج – الذنوب التي تحبس غيث السماء [أي تمنع المطر]: **«جور الحكّام في القضاء وشهادة الزور وكتمان الشهادة ومنع الزكاة والقرض والماعون** [أي العارية في ما ينفع من الأُمور اليسيرة التي يمكن أن تُعَار بين الجيران والأهل] **وقساوة القلوب على أهل الفقر والفاقة وظلم اليتيم والأرملة وانتهار السائل وردّه بالليل»**(١).

٢٦ – **ستّة لا تكون في المؤمن:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **«ستّة لا تكون في المؤمن: العسر والنكد [أي اللؤم] واللجاجة والكذب والحسد والبغي»**(٢).

٢٧ – **سيّد الأعمال:** في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله: **«ياعلي سيّد الأعمال ثلاث خصال: إنصافك الناس من نفسك ومساواة الأخ في الله وذكر الله على كلّ حال»**(٣).

٢٨ – **شيعة جعفر** عليه السلام: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **«إنّما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه فإذا رأيت أُولئك فأُولئك شيعة جعفر»**(٤).

٢٩ – **علامات أهل التقوى:** عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: **«إنّ لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وقلّة الفخر والبخل وصلة**

(١) معاني الأخبار، الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١) تح. علي أكبر الغفاري، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٢٧٠ – ٢٧١.
(٢) الخصال (م.س) ح١٥، ص٣٢٥.
(٣) تحف العقول (م.س) ص١٤.
(٤) أعلام الدين (م.س) ص١٢٩.

الأرحام ورحمة الضعفاء وقلّة المواتاة للنساء وبذل المعروف وحسن الخُلُق وسعة الحلم واتّباع العلم فيما يقرّب إلى الله عزّ وجلّ...»[١].

٣٠ - **علامات الفقه**: عن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «**من علامات الفقه: الحلم والعلم والصمت وإنّ الصمت باب من أبواب الحكمة، إنّ الصمت يكسب المحبّة، وإنّه دليل على الخير**»[٢].

٣١ - **الفضائل أربعة أجناس**: عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «**الفضائل أربعة أجناس: أحدها الحكمة وقوامها في الفكرة والثاني العفّة وقوامها في الشهوة والثالث القوّة وقوامها في الغضب والرابع العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس**»[٣].

٣٢ - **قاصمات الظهر**: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ثلاث هنّ قاصمات الظهر [قصم الشيء كسره]: رجل استكثر عمله ونسي ذنوبه وأُعجب برأيه**»[٤].

٣٣ - **الكبائر**: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**الكبائر سبع: قتل المؤمن متعمّداً وقذف المحصنة والفرار من الزحف والتعرّب بعد الهجرة وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا بعد البيّنة وكلّ ما أوجب الله عليه النار**»[٥].

٣٤ - **المحقّرات**: عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال للراوي: «**اتّقوا المحقّرات من الذنوب فإنّ لها طالباً لا يقولن أحدكم أذنب واستغفر الله أنّ الله تعالى يقول:** ﴿إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ

(١) الخصال (م.س) ح٥٦، ص٤٨٣.
(٢) الخصال (م.س) ح٢٠٢، ص١٥٨.
(٣) ميزان الحكمة (م.س) ج٣، ص١٤٥.
(٤) معاني الأخبار (م.س) ح١، ص٣٤٣.
(٥) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح٣، ص٢٧٧.

لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان/ ١٦]»(١).

٣٥ – مكارم الأخلاق:

أ-عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «**اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَبَلِّغْ بِإِيْمَانِي أَكْمَلَ الإِيْمَانِ، وَاجْعَلْ يَقِينِي أَفْضَلَ الْيَقِينِ، وَانْتَهِ بِنِيَّتِي إِلَى أَحْسَنِ النِّيَّاتِ، وَبِعَمَلِي إِلى أَحْسَنِ الاعْمَالِ. اللَّهُمَّ وَفِّرْ بِلُطْفِكَ نِيَّتِي، وَصَحِّحْ بِمَا عِنْدَكَ يَقِينِي، وَاسْتَصْلِحْ بِقُدْرَتِكَ مَا فَسَدَ مِنِّي.**

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَا يَشْغَلُنِي الاهْتِمَامُ بِهِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا تَسْأَلُنِي غَداً عَنْهُ وَاسْتَفْرِغْ أَيَّامِي فِيمَا خَلَقْتَنِي لَهُ، وَأَغْنِنِي وَأَوْسِعْ عَلَيَّ فِي رِزْقِكَ، وَلاَ تَفْتِنِّي بِالنَّظَرِ، وَأَعِزَّنِي، وَلا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكِبْرِ، وَعَبِّدْنِي لَكَ وَلاَ تُفْسِدْ عِبَادَتِي بِالْعُجْبِ، وَأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدَيَّ الْخَيْرَ، وَلا تَمْحَقْهُ بِالْمَنِّ، وَهَبْ لِي مَعَالِيَ الاَخْلاَقِ، وَاعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَلا تَرْفَعْنِي فِيْ النَّاسِ دَرَجَةً إِلّا حَطَطْتَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا، وَلا تُحْدِثْ لِي عِزّاً ظَاهِرَاً إِلّا أَحْدَثْتَ لِي ذِلَّةً بَاطِنَةً عِنْدَ نَفْسِي بِقَدَرِهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَتِّعْنِي بِهُدىً صَالِح لا أَسْتَبْدِلُ بِهِ، وَطَرِيقَةِ حَقٍّ لا أَزِيْغُ عَنْهَا، وَنِيَّةِ رُشْدٍ لاَ أَشُكُّ فِيْهَا، وَعَمِّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِيْ بِذْلَةً فِي طَاعَتِكَ، فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعاً لِلشَّيْطَانِ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ لا تَدَعْ خَصْلَةً تُعَابُ مِنِّي إِلّا أَصْلَحْتَهَا، وَلا عَائِبَةً أُؤَنَّبُ بِهَا إِلّا حَسَّنْتَهَا، وَلاَ أُكْرُومَةً فِيَّ نَاقِصَةً إِلّا أَتْمَمْتَهَا.

---

(١) ميزان الحكمة، (م.س)، ج٣، ح٦٥٩٨، ص٤٥٩.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَبْدِلْنِي مِنْ بِغْضَةِ أَهْلِ الشَّنَئانِ المَحَبَّةَ وَمِنْ حَسَدِ أَهْلِ الْبَغْيِ المَوَدَّةَ، وَمِنْ ظِنَّةِ أَهْلِ الصَّلاَحِ الثِّقَةَ، وَمِنْ عَدَاوَةِ الاَدْنَيْنَ الْوَلايَةَ، وَمِنْ عُقُوقِ ذَوِي الاَرْحَامِ المَبَرَّةَ، ومِنْ خِذْلانِ الاَقْرَبِينَ النُّصْرَةَ، وَمِنْ حُبِّ المُدَارِينَ تَصْحيحَ المِقَةِ، وَمِنْ رَدِّ المُلاَبِسِينَ كَرَمَ الْعِشْرَةِ، وَمِنْ مَرَارَةِ خَوْفِ الظَّالِمِينَ حَلاَوَةَ الاَمَنَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ لِيْ يَداً عَلَى مَنْ ظَلَمَنِي وَلِسَاناً عَلَى مَنْ خَاصَمَنِي وَظَفَراً بِمَنْ عَانَدَنِي وَهَبْ لِي مَكْراً عَلَى مَنْ كَايَدَنِي وَقُدْرَةً عَلَى مَنِ اضْطَهَدَنِي وَتَكْذِيباً لِمَنْ قَصَبَنِي وَسَلاَمَةً مِمَّنْ تَوَعَّدَنِي وَوَفِّقْنِي لِطَاعَةِ مَنْ سَدَّدَنِي وَمُتَابَعَةِ مَنْ أَرْشَدَنِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَسَدِّدْنِي لِاَنْ أعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وَأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ وَاُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ وَاُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ واُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وَأَنْ أَشْكرَ الحَسَنَةَ وَاُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسْنِي زِينَةَ المُتَّقِينَ فِيْ بَسْطِ الْعَدْلِ وَكَظْمِ الْغَيْظِ وَإطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ وَإِصْلاَحِ ذَاتِ الْبَيْنِ وَإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وَسَتْرِ الْعَائِبَةِ، وَلِينِ الْعَرِيكَةِ، وَخَفْضِ الْجَنَاحِ، وَحُسْنِ السِّيرَةِ، وَسُكُونِ الرِّيحِ، وَطِيْبِ المُخَالَقَةِ، وَالسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وإِيْثَارِ التَّفَضُّلِ، وَتَرْكِ التَّعْيِيرِ وَالافْضَالِ عَلَى غَيْرِ المُسْتَحِقِّ وَالقَوْلِ بِالحَقِّ وَإِنْ عَزَّ وَاسْتِقْلاَلِ الخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَاسْتِكْثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ وَلُزُومِ الجَمَاعَةِ وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ المُخْتَرَعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْ أَوْسَعَ رِزْقِكَ عَلَيَّ إذَا كَبُرتُ، وَأَقْوَى قُوَّتِكَ فِيَّ إذَا نَصِبْتُ، وَلاَ تَبْتَلِيَنِّي بِالكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ وَلا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ وَلاَ بِالتَّعَرُّضِ لِخِلاَفِ مَحَبَّتِكَ، وَلاَ مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، وَلا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي

أَصُوْلُ بِكَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَأَسْأَلُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ عِنْدَ الْمَسْكَنَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بِالاسْتِعَانَةِ بِغَيْرِكَ إِذَا اضْطُرِرْتُ، وَلا بِالْخُضُوعِ لِسُؤَالِ غَيْرِكَ إِذَا افْتَقَرْتُ، وَلاَ بِالتَّضَرُّعِ إِلَى مَنْ دُونَكَ إِذَا رَهِبْتُ فَأَسْتَحِقَّ بِذلِكَ خِذْلانَكَ وَمَنْعَكَ وَإِعْرَاضَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِي رَوْعِي مِنَ التَّمَنِّي وَالتَّظَنِّي وَالْحَسَدِ ذِكْراً لِعَظَمَتِكَ، وَتَفَكُّراً فِي قُدْرَتِكَ، وَتَدْبِيراً عَلَى عَدُوِّكَ، وَمَا أَجْرَى عَلَى لِسَانِي مِنْ لَفْظَةِ فُحْش أَوْ هُجْر أَوْ شَتْم عِرْض أَوْ شَهَادَةِ بَاطِل أو اغْتِيَابِ مُؤْمِن غَائِبِ أَوْ سَبِّ حَاضِر، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ نُطْقاً بِالْحَمْدِ لَكَ وَإِغْرَاقاً فِي الثَّنَاءِ عَلَيْكَ، وَذَهَاباً فِي تَمْجِيدِكَ وَشُكْراً لِنِعْمَتِكَ وَاعْتِرَافاً بِإِحْسَانِكَ وَإِحْصَاءً لِمِنَنِكَ.

اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَلاَ أُظْلَمَنَّ وَأَنْتَ مُطِيقٌ لِلدَّفْعِ عَنِّي، وَلا أَظْلِمَنَّ وَأَنْتَ القَادِرُ عَلَى الْقَبْضِ مِنِّي، وَلاَ أَضِلَّنَّ وَقَدْ أَمْكَنَتْكَ هِدَايَتِي، وَلاَ أَفْتَقِرَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُسْعِي، وَلا أَطْغَيَنَّ وَمِنْ عِنْدِكَ وُجْدِي.

اللَّهُمَّ إِلَى مَغْفِرَتِكَ وَفَدْتُ، وَإِلَى عَفْوِكَ قَصَدْتُ، وَإِلَى تَجَاوُزِكَ اشْتَقْتُ، وَبِفَضْلِكَ وَثِقْتُ، وَلَيْسَ عِنْدِي مَا يُوجِبُ لِي مَغْفِرَتَكَ، وَلاَ فِي عَمَلِي مَا أَسْتَحِقُّ بِهِ عَفْوَكَ، وَمَا لِي بَعْدَ أَنْ حَكَمْتُ عَلَى نَفْسِي إِلاّ فَضْلُكَ، فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَفَضَّلْ عَلَيَّ.

اللَّهُمَّ وَأَنْطِقْنِي بِالْهُدى، وَأَلْهِمْنِي التَّقْوَى وَوَفِّقْنِي لِلَّتِيْ هِيَ أَزْكَى وَاسْتَعْمِلْنِي بِمَا هُوَ أَرْضَى.

اللَّهُمَّ اسْلُكْ بِيَ الطَّرِيقَةَ الْمُثْلَى، وَاجْعَلْنِي عَلَى مِلَّتِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَى.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَمَتِّعْنِي بِالاقْتِصَادِ، وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ السَّدَادِ، وَمِنْ أَدِلَّةِ الرَّشَادِ، وَمِنْ صَالِحِي الْعِبَادِ، وَارْزُقْنِي فَوْزَ الْمَعَادِ، وَسَلاَمَةَ الْمِرْصَادِ.

اللَّهُمَّ خُذْ لِنَفْسِكَ مِنْ نَفْسِي مَا يُخَلِّصُهَا، وَأَبْقِ لِنَفْسِي مِنْ نَفْسِي مَا يُصْلِحُهَا؛ فَإِنَّ نَفْسِي هَالِكَةٌ أَوْ تَعْصِمَهَا.

اللَّهُمَّ أَنْتَ عُدَّتِي إِنْ حَزِنْتُ، وَأَنْتَ مُنْتَجَعِي إِنْ حُرِمْتُ، وَبِكَ اسْتِغَاثَتِي إِنْ كَرِثْتُ، وَعِنْدَكَ مِمَّا فَاتَ خَلَفٌ، وَلِمَا فَسَدَ صَلاَحٌ، وَفِيمَا أَنْكَرْتَ تَغْيِيرٌ. فَامْنُنْ عَلَيَّ قَبْلَ الْبَلاءِ بِالْعَافِيَةِ، وَقَبْلَ الطَّلَبِ بِالْجِدَةِ، وَقَبْلَ الضَّلاَلِ بِالرَّشَادِ، وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ مَعَرَّةِ الْعِبَادِ، وَهَبْ لِيْ أَمْنَ يَوْمِ الْمَعَادِ، وَامْنَحنِي حُسْنَ الارْشَادِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَادْرَأ عَنّي بِلُطْفِكَ، وَاغْذُنِي بِنِعْمَتِكَ، وَأَصْلِحْنِي بِكَرَمِكَ، وَدَاوِنِي بِصُنْعِكَ، وَأَظِلَّنِيْ فِي ذَرَاكَ، وجَلِّلْنِي رِضَاكَ، وَوَفِّقنِي إِذَا اشْتَكَلَتْ عَلَيَّ الامُورُ لِاهْدَاهَا، وَإِذَا تَشَابَهَتِ الاعْمَالُ لازْكَاهَا، وَإِذَا تَنَاقَضَتِ الْمِلَلُ لِارْضَاهَا.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَتَوِّجْنِي بِالْكِفَايَةِ، وَسُمْنِي حُسْنَ الْوِلايَةِ، وَهَبْ لِيْ صِدْقَ الْهِدَايَةِ، وَلا تَفْتِنِّي بِالسَّعَةِ، وَامْنَحْنِي حُسْنَ الدَّعَةِ، وَلا تَجْعَلْ عَيْشِي كَدّاً كَدّاً، وَلاَ تَرُدَّ دُعَائِي عَلَيَّ رَدّاً فَإِنِّي لا أَجْعَلُ لَكَ ضِدّاً وَلا أَدْعُو مَعَكَ نِدّاً.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَامْنَعْنِي مِنَ السَّرَفِ وَحَصِّنْ رِزْقِي مِنَ التَّلَفِ، وَوَفِّرْ مَلَكَتِي بِالْبَرَكَةِ فِيهِ، وَأَصِبْ بِي سَبِيلَ الْهِدَايَةِ لِلْبِرِّ فِيمَا أُنْفِقُ مِنْهُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاكْفِنِي مَؤُونَةَ الاكْتِسَابِ، وَارْزُقْنِي مِنْ غَيْرِ احْتِسَاب، فَلاَ أَشْتَغِلَ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالطَّلَبِ وَلا أَحْتَمِلَ إِصْرَ تَبِعَاتِ الْمَكْسَبِ.

اللَّهُمَّ فَأَطْلِبْنِي بِقُدْرَتِكَ مَا أَطْلُبُ، وَأَجِرْنِي بِعِزَّتِكَ مِمَّا أَرْهَبُ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ، وَلاَ تَبْتَذِلْ جَاهِي بِالاقْتارِ فَأَسْتَرْزِقَ أَهْلَ رِزْقِكَ، وَأَسْتَعْطِيَ شِرَارَ خَلْقِكَ، فَأَفْتَتِنَ بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي، وَأُبْتَلَى بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي

وَأَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ وَلِيُّ الاعْطَاءِ وَالْمَنْعِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَارْزُقْنِي صِحَّةً فِيْ عِبَادَة، وَفَراغاً فِي زَهَادَة، وَعِلْماً فِي اسْتِعمَال، وَوَرَعاً فِي إِجْمَال. أَللَّهُمَّ اخْتِمْ بِعَفْوِكَ أَجَلي، وَحَقِّقْ فِي رَجَاءِ رَحْمَتِكَ أَمَلِي، وَسَهِّلْ إِلَى بُلُوغِ رِضَاكَ سُبُلِي، وَحَسِّن فِي جَمِيعِ أَحْوَالِيْ عَمَلِي.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَنَبِّهْنِي لِذِكْرِكَ فِي أَوْقَاتِ الْغَفْلَةِ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ فِي أَيَّامِ الْمُهْلَةِ، وَانْهَجْ لِي إلى مَحَبَّتِكَ سَبيلاً سَهْلَةً أَكْمِلْ لِي بِهَا خَيْرَ الدُّنْيَا وَالاخِرَةِ.

اللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَد مِنْ خَلْقِكَ قَبْلَهُ، وَأَنْتَ مُصَلٍّ عَلَى أَحَد بَعْدَهُ، وَآتِنا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الاخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنِي بِرَحْمَتِكَ عَذَابَ النَّارِ.»[1]

ب- عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الله عزّوجلّ خصّ رسله بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله واعلموا أنّ ذلك من خير وأن لا تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها قال: فذكرها عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخُلُق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروة»[2].

٣٦ – **المنجيات والمهلكات:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «ثلاث منجيات: خوف الله في السرّ والعلانية كأنّك تراه وإن لم تكن تراه فإنّه يراك والعدل في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر، وثلاث مهلكات: هوى متّبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه»[3].

---

(١) الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام [الدعاء العشرون] ص٨١.

(٢) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح٢، ص٦٥.

(٣) إعلام الدين (م.س) ص١٢١.

٣٧ – **وزراء الأخلاق:** عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال:«**نعم وزير الإيمان العلم ونعم وزير العلم الحلم ونعم وزير الحلم الرفق ونعم وزير الرفق اللين**»[١] والوزير يعني «الذي يحمل الثقل عن صاحبه»[٢].

وبهذا القدر نكتفي من إيراد العناوين العامّة للأخلاق في المحور الأوّل، وننتقل إلى المحور الثاني.

المحور الثاني: العناوين الخاصّة

وسنقتصر على بعضها مراعاة للمنهج:

١ – **أداء الأمانة والصدق:** عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: «**لا تنظروا إلى طول ركوع الرجل وسجوده فإنّ ذلك شيء اعتاده فلو تركه استوحش لذلك ولكن انظروا إلى صدق حديثه وأداء أمانته**»[٣].

٢ – **البرّ وحُسن الخُلُق:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**البرّ وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار**»[٤].

٣ – **حبّ الدنيا والحرص عليها:**

أ – عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**رأس كلّ خطيئة حبّ الدنيا**»[٥].

ب – وعنه عليه السلام أنّه قال: «**من تعلّق قلبه بالدنيا تعلّق قلبه بثلاث خصال: همّ لا**

---

(١) ميزان الحكمة، (م.س) ج١٠، ح٢١٣٧، ص٤٣٨.
(٢) مقاييس اللغة، (م.س) ص١٠٥٢.
(٣) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح١٢، ص١٠٥.
(٤) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح٨، ص١٠٠.
(٥) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح١، ص٣١٥.

يفنى وأمل لا يدرك ورجاء لا يُنال»[١].

٤ – **الخوف والرجاء:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو**»[٢].

٥ – **الرفق:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس**»[٣].

٦ – **الغضب:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**الغضب مفتاح كلّ شرّ**»[٤].

٧ – **الغيبة:** عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الأكِلة في جوفه**»[٥] [والأكِلة هي داء في العضو يأتكل منه][٦].

٨ – **الكبر:** عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام أنّهما قالا: «**لا يدخل الجنّة من في قلبه مثقال ذرّة من كبر**»[٧].

٩ – **المزاح:** عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إيّاكم والمزاح فإنّه يجرّ السخيمة ويورث الضغينة وهو السبّ الأصغر**»[٨]، والسخيمة هي

(١) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح١٧، ص٣٢٠.
(٢) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح١، ص٧١.
(٣) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح١٦، ص١٢٠.
(٤) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح٣، ص٣٠٣.
(٥) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح١، ص٣٥٧.
(٦) القاموس المحيط (م.س) ص٨٨٥.
(٧) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح٦، ص٣١٠.
(٨) تحف العقول (م.س) ص٢٨٠.

«الموجدة في النفس»[١]، والضغينة هي «الحقد»[٢].

١٠ - **النميمة**: عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «**محرّمة الجنّة على القتّاتين المشّائين بالنميمة**»[٣]، [القتّاتون جمع القتّات وهو النمّام][٤].

ونكتفي بهذا القدر من العناوين الخاصّة الذي أوردناه مراعاة للمنهج في هذه المرحلة وبما أنّ السنّة المباركة بعد القرآن الكريم مصدر من مصادر التشريع الإسلامي فسنختار نماذج لحديث السنّة عن الأخلاق ونرتّب هذه النماذج وفق ما تقدّم معنا من تقسيم الأخلاق إلى ثلاثة عناوين:

١ - أخلاق الإنسان مع الله تعالى ونذكر فيه التوكّل على الله تعالى.

٢ - أخلاق الإنسان مع النفس ونذكر فيه الحلم.

٣ - أخلاق الإنسان مع المجتمع ونذكر فيه التواضع.

ونكتفي بهذه النماذج مراعاة لضيق الوقت وللمنهج سائلين الله تعالى التوفيق للحديث بشكل مفصّل في الفصول اللاحقة إن شاء الله تعالى.

أوّلاً: أخلاق الإنسان مع الله تعالى - التوكّل على الله - نموذجاً.

التوكّل على الله: يمثّل التوكّل على الله تعالى خُلُقاً رفيعاً يمارسه المؤمن وبه يصل المؤمن إلى درجات سامية إذا عرف المؤمن حقيقة التوكّل على الله ألا وهي «التبرّي من كلّ حول وقوّة والاعتماد على حول الله وقوّته وهو [التوكّل] موقوف على أن يعتقد

(١) مقاييس اللغة (م.س) ص٤٨٨.
(٢) مقاييس اللغة (م.س) ص٥٧٥.
(٣) أُصول الكافي (م.س) ج٢، ح٢، ص٣٦٩.
(٤) مقاييس اللغة (م.س) ص٨٢٤.

اعتقاداً جازماً بأنّه لا فاعل إلّا بالله وأنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله وأنّ له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد... فمن اعتقد ذلك اتّكل قلبه لا محالة على الله وحده ولم يلتفت إلى غيره ولا إلى نفسه أصلاً ومن لم يجد ذلك من نفسه فسببه إمّا ضعف اليقين أو ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه... فالتوكّل لا يتمّ إلّا بقوّة اليقين وقوّة القلب جميعاً»(١).

التوكّل في اللغة: «وكل بالله يكل وتوكّل على الله... استسلم إليه... وتواكلوا مواكلة واتّكالاً: اتّكل بعضهم على بعض... والتوكّل إظهار العجز، والاعتماد على الغير»(٢).

التوكّل في القرآن الكريم: وردت مادّة (وكل) بصيغ متعدّدة في ٧٠ مرّة وعلى النحو التالي(٣):

أ – صيغة الفعل الماضي (١٣ مرّة).

ب – صيغة الفعل المضارع (١٨ مرّة).

ج – صيغة الفعل الأمر (١١ مرّة).

د – صيغة اسم الفاعل (٤ مرّات).

هـ – صيغة الصفة المشبهة (٢٤ مرّة).

ومن الآيات الشريفة الواردة في التوكّل قوله تعالى:﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا

---

(١) جامع السعادات (م.س) ج٣، ص٢٢٠ – ٢٢١.

(٢) القاموس المحيط، ص٩٨٧.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (م.س) ص٧٦٢ – ٧٦٣.

كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة/ ٥١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق/ ٣].

وليس التوكّل «ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب... فإنّ الإنسان مكلّف بطلب الرزق بالأسباب التي هداه الله إليها من زراعة أو تجارة أو صناعة أو غير ذلك ممّا أحلّه الله.

وكما أنّ الصلاة والصيام والحجّ عبادات كلّف الله عباده يتقرّبون بها كذلك طلب الرزق الحلال عبادة كلّفهم الله بها ليتقرّبوا به إليه بل هو أفضل العبادات»[(١)]. كما ورد عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**العبادة سبعون جزءاً وأفضلها جزءاً طلب الحلال**»[(٢)].

التوكّل في السنّة المباركة: اهتمّ أهل البيت عليهم السلام في شرح التوكّل وبيان حقيقته ليعيش الناس حياة سعيدة مطمئنّة يتعامل الناس مع الأسباب الطبيعية للأُمور بعد الاعتماد على الله تعالى والانقطاع إليه في جميع الأُمور وممّا ورد عنهم عليهم السلام ما جاء في ميزان الحكمة ج١٠ ص٦٧٦ - ٦٩٢:

١ - سئل الصادق عليه السلام عن حدّ التوكّل فقال: **أن لا تخاف مع الله شيئاً**. فهذا يعني أن يعتقد العبد أنّ الله تعالى قادر على كلّ شيء ويطمئن قلبه ولا يخاف معه من أحد ولكن ذلك بعد القيام بما ينبغي والأخذ بالأسباب الظاهرية للأُمور وقد ورد:

٢ - عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**لرجل أعقلها وتوكّل**».

---

(١) الأخلاق، شبرّ،(م.س) ص٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) وسائل الشيعة (م.س) ج١٧، كتاب التجارة، ب٤، ح١٥، ص٢٣ - ٢٤.

٣ – وإنّ قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ لـمّا نزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق/ ٢ – ٣] أغلقوا الأبواب واقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم قال: **ما حملكم على ما صنعتم؟** فقالوا: يارسول الله تُكُفِّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة قال: **أنّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب.**

وممّا يؤكّد أنّ التوكّل يكون من اليقين بالله تعالى:

٤- منشأ التوكّل: ما ورد عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: **«التوكّل من قوّة اليقين»**.

٥ – وعنه عليه السلام أيضاً أنّه قال: **«من وثق بالله توكّل عليه»**.

ثمرة التوكّل: وللتوكّل ثمرة وهي القوّة والكفاية أمّا القوّة.

٦ – فلِما قاله رسول الله ﷺ: **«من أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله»**.
وأمّا الكفاية فلقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق/ ٣] أي يكفيه.

٧ – ويقول الإمام علي عليه السلام: **«التوكّل كفاية شريفة لمن اعتمد عليه»**.

درجات التوكّل: وأخيراً للتوكّل درجات نتعرّف عليها من خلال:

٨ – ما قاله الإمام الكاظم عليه السلام: التوكّل على الله درجات منها: **«أن تتوكّل على الله في أُمورك كلّها فما فعل بك كنت عنه راضياً...»**.

فنسأل الله تعالى أن يلهمنا الرشاد إلى سبيله والتوكّل عليه في جميع الأُمور مع الأخذ بالتدبير والتفكير.

ثانياً: أخلاق الإنسان مع النفس – الحِلْم – نموذجاً.

الحِلْم: خُلُقٌ يمارسه الإنسان عندما يضبط أعصابه ويعيش السكون في حركاته والاتّزان في تصرّفاته فلا يغضب فتثور نفسه عند حصول المثيرات ولا يمارس الانتقام لنفسه استجابة لنوازع الشرّ وتلبية لنداء الشيطان.

الحِلْم في اللغة: بكسر الحاء وسكون اللام «ترك العجلة وخلاف الطيش يقال حَلُمتُ عنه أحلم فأنا حليم»[(١)]. وهو أيضاً «الأناة والعقل ج أحلام وحلوم... وهو حليم»[(٢)].

فالحِلم ممارسة يقوم بها الإنسان تمنعه من فعل الانتقام وما لا ينبغي ويكون العقل هو سيّد الموقف والدليل للإنسان عند حدوث مثيرات له تدفعه للانتقام وعلى هذا يكون الحِلم والأناة بمعنى واحد كما قال الخليل[(٣)]. فالأساس في هذه الممارسة هو بطء ردّة الفعل على المثيرات وفعل ما يحكم به العقل والحِلْم يختلف عن كظم الغيظ من حيث أنّ كظم الغيظ يعني «الإمساك والجمع للشيء من ذلك الكظم: اجتراع الغيظ والإمساك عن إبدائه وكأنّه يجمعه الكاظم في جوفه»[(٤)]. فيكون الكظم مقدّمة للحلم فالكظم كالتحلّم بالنسبة إلى الحِلم هو ممارسة منع النفس من ابداء الغيظ والحقد ولم تصل هذه الممارسة إلى حد سيطرة العقل بشكل واسع على تصرّفات النفس فتثور النفس ويمسكها الإنسان وعلى شدّة الممارسة وطول المدّة تصبح له هذه الممارسة خُلُقاً ثابتاً

(١) مقاييس اللغة (م.س) ص٢٥٩.

(٢) القاموس المحيط (م.س) ص١٠١١.

(٣) العين: الفراهيدي،الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ) تح. د. المخزومي والسامرائي مكتبة أُسوة، قم، ط١، ١٤١٤هـ، ج١، ص١١٢.

(٤) مقاييس اللغة (م.س) ص٧٤.

في النفس فالحِلم في الاصطلاح «فضيلة النفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شِغبة ولا يحرّكها الغضب بسهولة وسرعة»(١). وبعبارة أُخرى «الحِلم هو طمأنينة النفس بحيث لا يحرّكها الغضب بسهولة ولا يزعجه المكروه بسرعة فهو الضدّ الحقيقي للغضب لأنّه المانع من حدوثه ولكن بعد هيجانه لما كان كظم الغيظ ممّا يضعفه ويدفعه فمن هذه الجهة يكون كظم الغيظ أيضاً ضدّاً للغضب... وهو أشرف الكمالات النفسية بعد العلم بل لا ينفع العلم بدونه أصلاً ولذا كلّما يمدح العلم أو يسأل عنه يقارن به قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**اللهمّ أغنني بالعلم وزيّني بالحلم**»(٢).

الحلم في القرآن الكريم: الحِلم كخُلُق من الفضائل أشار إليه القرآن الكريم بصيغة الصفة المشبهة(٣) (الحليم) في (١٥ مورداً) جاءت في (١١ مورداً) كصفة لله تعالى وفي (٤ موارد) كصفة للأنبياء عليهم السلام وجاءت بمعنى العقل في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور/ ٣٢] والأحلام جمع حِلم بمعنى العقل.

واقتصار ورود صفة (الحِلم) على الله تعالى والأنبياء يوحي لنا بعظمة هذا الخُلَق وأهميته وأنّ تحقيقه في الأنبياء فقط وعلينا أن نتحلّى بأخلاقهم لأنّ إمساك النفس عن الانفعالات وضبط تصرّفات النفس عند الغضب عندنا أمر صعب جدّاً ويحتاج إلى لطف إلهي كالعصمة في الأنبياء والتوفيق للطاعات عند سواهم من البشر.

الحلم في السنّة المباركة: شرحت السنّة المباركة الحِلم وبيّنت أسبابه ونتائجه ودعت إلى التحلّي به وهذا ما نبيّنه فيما نذكره من الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام مكتفين بما ورد في [ميزان الحكمة ج٢ ص٥١١ - ٥٢٠]:

(١) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (م.س) ص٤٣.
(٢) جامع السعادات (م.س) ج١، ص٣٣٠ - ٣٣١.
(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (م.س) ص٢١٦ - ٢١٧.

حد الحِلم: ١ – قال الإمام علي عليه السلام: «**إنّما الحِلم كظم الغيظ وملك النفس** «فالحِلم» كما في المعنى اللغوي والاصطلاحي يعني ضبط النفس وتهدئتها بعد الهيجان بفعل المثيرات وهذا ما شرحه الإمام عليه السلام بقوله إنّما الحِلم ومن المعلوم في البلاغة العربية أنّ (إنّما) تفيد الحصر فكأنّه عليه السلام حصر الحِلم بكظم الغيظ وملك النفس فتكون تصرّفات الإنسان تحت السيطرة والانضباط والحلم لا يعني عدم معاشرة الناس ولا يعني الابتعاد عنهم.» ولذا:

٢ – جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**ليس بحليم من لم يعاشر بالمعروف من لابدّ من معاشرته**» فالحليم يعاشر الناس الذين لابدّ من معاشرتهم كالأهل والأرحام والجيران وغيرهم وتكون معاشرته لهم بالمعروف وهو المتعارف لدى الناس بحيث لا يخرج عمّا هو المرسوم عرفاً والمضبوط شرعاً. فلا يغضب عند حصول المثيرات وهذا ما أكّده:

٣ – الإمام علي عليه السلام: «**حين سئل عن أحلم الناس فقال الذي لا يغضب**» لأنّ الغضب يدعو إلى الانتقام بينما الحلم يدعو إلى ضبط النفس وتحكيم العقل.

أثر الحلم ٤ – وعنه عليه السلام أيضاً: «**الحلم يطفئ نار الغضب والحدة تؤجّج إحراقه**» فلا يهدأ الإنسان الذي يعيش الحدة وهي «**ما يعتري الإنسان من الغضب والنزق**»[1] حتّى يحرق نفسه من خلال التصرّفات التي يقوم به في حالة الغضب. وممّا يورث الحلم لدى الإنسان كونه كامل العقل وعالماً كما في:

منشأ الحلم ٥ – قوله الإمام علي عليه السلام: «**بوفور العقل يتوفّر الحلم**».

٦ – عنه عليه السلام أيضاً: «**عليك بالحِلم فإنّه ثمرة العلم**» فإذا كان لدى الإنسان وفور في

(١) القاموس المحيط (م.س) ص٢٦٤.

العقل وعلم كان لديه الحِلم لسيطرة العقل على النفس. وللحلم ثمرات يقطفها الحليم الذي أصبحت عنده فضيلة الحِلم خُلْقاً ثابتاً في النفس وإذا لم تبلغ مرحلة الثبوت ولكنّه يمارسها فهو التحلّم.

٧ – وهذا ما دعا إليه الإمام علي عليه السلام بقوله: «**إن لم تكن حليماً فتحلّم فإنّه قلّ من تشبه بقومٍ إلّا أوشك أن يكون منهم**»

ثمرة الحلم: ومن ثمرات الحلم: إنصاف الناس له ونصرتهم له كما في:

٨ – قول الإمام علي عليه السلام: «**إنّ أوّل عوض الحليم من حلمه أو خصلته أنّ الناس أنصاره أو أعوانه على الجاهل**» وذلك أنّ الحليم حين يتوازن في ردّة الفعل على الجاهل الذي استثاره سيتولّى الناس العقلاء من المحيطين به الدفاع عنه ومقاضاة المعتدي ولو باللوم والتأنيب فقد ينتبه المعتدي لخطأه فيعتذر عن تصرّفه(١).

٩ – قوله عليه السلام أيضاً: «**الحلم عشيرة**» دعوة إلى مجتمع آمن تسوده مبادئ الاحترام والتسامح لأنّ الحليم سيكسب أنصاراً وأعواناً ومشجّعين له على الحلم والعفو عند القدرة في حالات الغضب والانتقام حتّى يكون الحلم له كالعشيرة وهي تحمي الإنسان عادة فيكسب أعواناً وأنصاراً من خلال الحلم والصبر على الأذى(٢).

والحثّ على الحلم وكظم الغيظ لا يعني أن يذلّ الإنسان نفسه مع المعتدي بل الذل حينئذ يكون آفة الحلم والمرض الذي يصيب الصبر والأناة.

آفة الحلم: ١٠ – وهذا ما عناه الإمام علي عليه السلام بقوله: «**آفة الحلم الذلّ**» والآفة في

---

(١) أخلاق الإمام علي عليه السلام (م.س) ص١٢٧ – ١٢٨، بتصّرف.

(٢) أخلاق الإمام علي عليه السلام (م.س) ص١٧٢، بتصّرف.

اللغة هي (العاهة أو عرض مفسد لما أصابه)[١] فالذلّ حين يعيشه الإنسان المعتدى عليه لا يكون معه الحِلم لأنّ العقل الضابط لتصرّفات الإنسان يدعو إلى وضع الأُمور في موضعها المناسب فإذا كان المعتدي لا ينفع معه الصبر على أذاه والسكوت عن أفعاله فلا يكون الحِلم علاجاً ولا العفو فضيلة كما أشار إليه:

١١ – قول الإمام علي عليه السلام: «**إذا كان الحلم مفسدة كان العفو مَعْجَزَةً**» الـمَعْجَزَة في اللغة هي «عدم القدرة والعجز»[٢] بما أنّ العفو عند المقدرة من شيم المؤمنين وأخلاقهم ويكون من خلال الحلم وتحكيم العقل فلابدّ أن يكون في موضعه المناسب فإذا كان الحلم مفسدة ولم يكن مصلحة من خلال تجاوز المعتدي الحدود فلا يكون العفو عن إساءته مقدرة فيمدح الإنسان على العفو بل يكون عجزاً ويمثّل ضعفاً في الإنسان الحليم وهذه دعوة إلى التوازن في الانفعالات ووضع الأُمور في نصابها الصحيح نسأله تعالى أن يوفّقنا إلى الحلم وأن يحلم عنّا بالعفو عن سيّئاتنا إنّه حميد مجيد.

ثالثاً: أخلاق الإنسان مع المجتمع – التواضع – نموذجاً.

علاقة الإنسان بالمجتمع ذات حساسية تقتضي التصرّف الحكيم والتواضع لأفراد المجتمع ليعيش الجميع في طمأنينة وراحة وأساس هذا التواضع هو عدم شعور الإنسان نفسه بالرفعة والكبر على الآخرين فيعيش بينهم كأحدهم وقد دعا الإسلام إلى التواضع وذمّ التكبّر وهذا ما نتحدّث عنه في العناوين التالية:

التواضع في اللغة: (تواضع: تذلّل، وتخاشع)[٣] بعد أن لا يرى لنفسه فضلًا ورفعة

(١) القاموس المحيط (م.س) ص٧٣٣.
(٢) لسان العرب (م.س) ج٤، ص٢٨١٧.
(٣) القاموس المحيط (م.س) ص٧١٣.

على غيره.

التواضع في الاصطلاح: هو «إنكسار النفس يمنعها من أن يرى لذاتها مزية على الغير وتلزمه أفعال وأقوال موجبة لاستعظام الغير وإكرامه والمواظبة عليها أقوى معالجة لإزالة الكبر»[(١)] وبعبارة أُخرى «هو لين الجانب والبعد عن الاغترار بالنفس فكأنّ المتواضع قد كلّف نفسه أن يضعها دون منزلتها التي تستحقّها... ولذلك قالوا أنّ التواضع هو اللين مع الخلق والخضوع للحقّ وخفض الجناح»[(٢)].

التواضع في القرآن الكريم: لم ترد كلمة التواضع بلفظها في القرآن الكريم ولكن وردت كلمات تشير إليها... فالله تعالى يقول في [سورة الفرقان/ ٦٣] ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴾ أي يمشون على الأرض هينين أو يمشون مشياً هيّناً لأنّ الهَوْن – بفتح فسكون – وهو الرفق والسهولة... وأيضاً يقول الله تعالى في سورة [المائدة/ ٥٤]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ والمراد بالذلّ في الآية الكريمة الرحمة والشفقة واللين وليس المراد بها الهوان)[(٣)].

التواضع في السنّة المباركة: دأبت الأحاديث الشريفة على شرح التواضع وبيان موطنه وأسبابه وثمراته وذلك ليكون التواضع واضحاً لدى المؤمنين فلا يخلطون بينه وبين الهوان والذلّ ففي كتاب ميزان الحكمة ج١٠ ص٥٠٠ – ٥١١ جملة من الأخبار نختار نماذج منها:

---

(١) جامع السعادات (م.س) ج١، ص٣٩٣.
(٢) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ج١، ص٦٨.
(٣) موسوعة أخلاق القرآن (م.س) ج١، ص٦٨ – ٦٩.

حدّ التواضع ١ – سئل الإمام الصادق عليه السلام عن التواضع فقال: «**هو أن ترضى من المجلس بدون شرفك وأن تسلّم على من لقيت وأن تترك المراء وإن كنت محقّاً**» والمراء هو «الكلام الذي فيه بعض من الشدّة»[١] ولابدّ أن يكون التواضع في محلّه ولا يسبّب ذلاً للإنسان كما:

محل التواضع: ٢ – يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**طوبى لمن تواضع لله تعالى في غير منقصة وأذلّ نفسه في غير مسكنة**» «وطوبى شجرة في الجنّة»[٢].

٣ – ويقول الإمام علي عليه السلام: «**التواضع مع الرفعة كالعفو مع القدرة**».

٤ – ويقول الإمام علي عليه السلام أيضاً: «**من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه**». فلابدّ أن يكون التواضع مع أهله وفي محلّه فلا يتواضع المؤمن للغني بلحاظ غناه وأمّا إذا كان بلحاظ إيمانه والتزامه الديني فلا بأس به وللتواضع ثمرات منها ما تعبّر عنه الأحاديث التالية:

أثر التواضع: ٥ – عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**ما تواضع أحد إلّا رفعه الله**».

٦ – وعن الإمام علي عليه السلام: «**التواضع يرفع والتكبّر يضع**».

ثمرة التواضع: ٧ – عن الإمام علي عليه السلام: «**ثمرة التواضع المحبّة وثمرة الكبر المسبّة**» وهذا أمر محسوس لنا في حياتنا اليومية فتجد الناس يحبّون من يتواضع لهم ويسبّون من يتكبّر عليهم.

٨ – عن الإمام علي عليه السلام: «**التواضع يكسبك السلامة**» وذلك لأنّه يمنع العداوة

---

(١) مقاييس اللغة (م.س) ص٩٤٥.

(٢) القاموس المحيط (م.س) ص١١٥.

والتي هي منشأ الاعتداء على الإنسان فإذا تواضع الإنسان ضمن سلامته.

وليتمكّن الإنسان من التواضع فعليه أن يأخذ بالنصيحة من أمير المؤمنين عليه السلام حيث ينصح بسلامة الصدر وبالعلم كما في:

آلية التواضع: ٩ – قول الإمام علي عليه السلام: «**لا يستعان على التواضع إلّا بسلامة الصدر**» فإذا كان الإنسان سليم الصدر لا يحمل الحقد على الآخرين ولا يوجد في نفسه الشعور بالعظمة والتكبّر على غيره فسيتواضع.

منشأ التواضع ١٠ – وأيضاً قوله عليه السلام: «**التواضع ثمرة العلم**» فالعلم يدعو إلى أن يعرف الإنسان قدر الآخرين ومنزلتهم ويتواضع لهم فلا يتعالى ولا يشمخ بأنفه ولا يتكبّر. نسأل الله تعالى أن يعافينا من الكبر ويعيننا على التواضع لله تعالى بأداء فروضه ونتواضع لأهل البيت عليهم السلام بالطاعة والولاء، ونتواضع للآخرين ضمن الحدود الشرعية لنتجنّب عقوبة المتكبّرين كما في قوله تعالى: ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل/ ٢٩].

وفي ختام البحث عن «الأخلاق في السنة المباركة» يحسن الحديث عن خلق يصلح للحديث عنه ضمن التقسيمات الثلاث المتقدّمة لما ينتج عنه من أثر في أخلاق الإنسان مع ربّه تعالى شأنه ومع نفسه ومع مجتمعه ألا وهو [العُجب] بناءً على اقتراح بعض الأخوات، فللعُجب آثاره على خُلق الإنسان مع ربّه فإذا أُصيب الإنسان به فلا يطيع ربّه وينسى ذنبه وكذا له أثر على الإنسان نفسه فلا يستشير أحداً ويستبدّ برأيه ويفقد عنصر الإخلاص في أعماله وأمّا أثر العجب على أخلاق الإنسان مع مجتمعه فإنّه يبتلى بالتكبّر على الآخرين ويبخل عليهم ولا يتواضع لهم ويكون سريع الغضب نتيجة ما يشعر به من استعظام نفسه وتقدّمها على غيرها وقد ذمّ الله تعالى العُجب من خلال

القرآن الكريم ومن خلال السنّة المباركة، والعُجب مذموم عقلائياً أيضاً لما يصاحبه عادة من استحقار الآخرين والتقليل من شأنهم والترفّع عليهم نتيجة الإحساس بالعظمة والتفوّق.

وسنبحث العُجب ضمن عناوين فرعية سائلين الله تعالى التوفيق لطاعته وتجنّب معاصيه وتطهير نفوسنا من الرذائل وتزكيتها فهو المزكّي لها كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء/ ٤٩] والفتيل ما يكون في شقّ النواة[١].

العُجب في اللغة: «بالضم: الزهو والكبر»[٢] «وهو أن يتكبرّ الإنسان في نفسه تقول هو معجب بنفسه»[٣] وبالفتح أي العَجب هو «إنكار ما يردُ عليه»[٤] «وذلك إذا استكبر واستُعظم فيقال أمر عجيب والاستعجاب شدّة العجب»[٥] فحين يشعر الإنسان بعظمة نفسه فهو العُجب بالضم وحين يستعظم شيئاً غير نفسه وينكره فهو العَجب كما لو أعجبته قصّة أو بناء دار أو منظر ما. فيقول أعجبني كذا وهذا المعنى اللغوي يلقي بظلاله على المعنى الاصطلاحي للعجب.

العُجب في اصطلاح علماء الأخلاق: عَرَّف علماء الأخلاق العُجب الحاصل في الإنسان بأنّه «هو استعظام نفسه لأجل ما يرى لها من صفة كمال سواء كانت له تلك

(١) مقاييس اللغة (م. س) ص٨٠٦.
(٢) القاموس المحيط (م. س) ص١١٧.
(٣) مقاييس اللغة (م. س) ص٧١٧.
(٤) القاموس المحيط (م. س) ص١١٧.
(٥) مقاييس اللغة (م. س) ص٧١٧.

الصفة في الواقع أم لا وسواء كانت صفة كمال في نفس الأمر أم لا»[١] فالإنسان قد يتوهّم أنّ الصفة التي فيه هي صفة كمال له مع أنّها ليست كذلك في الواقع وقد يتوهّم أنّه يملك صفة كمال مع أنّه فاقد لها وفي الأخلاق لشبّر عرّفه بأنّه: «اعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم»[٢] وحينئذ لابدّ أن تكون هناك نعمة ويعظّمها ولا ينسبها إلى المنعم وهو الله تعالى المنعم الحقيقي.

الإدلال: هناك حالة تصاحب العُجب وهي أن يغلب على نفسه أنّ له عند الله تعالى منزلة وحقّاً وأنّ له كرامة عنده تعالى فيستبعد جريان المكروه عليه باعتبار أنّ له مكانة عند الله تعالى فهو كأنّه يرى لنفسه على الله تعالى دالّة ومنّة فالإدلال عجب مع شيء زائد وقد يكون الإدلال على غير الله تعالى كما لو أعطى الإنسان المعجب للغير شيئاً ويستعظمه ويمنّ عليه ويتوقّع المبادرة إلى قضاء حقوقه وعدم التأخّر وينتج العُجب الكبر إذا كان هناك من يتكبّر عليه فالمعجب يستعظم نفسه ويرى لها مزية على الغير في صفة ما. وأمّا إذا كان مجرّد استعظام للنفس فهو العُجب فقط[٣] وسبب العُجب «ظنّ كاذب بالنفس في استحقاق مرتبة هي غير مستحقّة لها»[٤].

العُجب في القرآن الكريم: ذمّ القرآن الكريم العجب في مواطن كثيرة منها:

١ - قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة/ ٢٥].

---

(١) جامع السعادات (م.س) ج١، ص٢٥٦.
(٢) الأخلاق، لشبّر (م.س) ص١٦٤.
(٣) جامع السعادات (م. س) ج١، ص٣٥٧، بتصّرف.
(٤) تهذيب الأخلاق (م. س) ص١٦٦.

فالمسلمون أخذهم الغرور يوم حنين وأعجبوا بكثرتهم فتصوّروا أنّهم ينتصرون بكثرتهم وأنّ النصر من صفتهم فهم استعظموا كثرتهم وتصوّروا أنّها تكون السبب الوحيد في نصرهم فلم ينسبوا النصر إلى الله تعالى ولم يأخذوا العبرة من النصر في المواطن الكثيرة السابقة التي كان النصر من صنع الله تعالى وكانوا هم السبب الظاهري لإحراز النصر.

٢ - قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف/ ١٠٣ - ١٠٤].

وأراد القرآن لنا أن نأخذ العبرة من الأخسرين أعمالاً الذين كانوا يستعظمون أعمالهم ويرون أنّها سبب نجاحهم ونجاتهم في الآخرة مع أنها كانت تلك الأعمال سيّئة ولم تكن صفة كمال لهم ولذا كان مصيرهم النار كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ [الكهف/ ١٠٥ - ١٠٦] - «والحبط يعني بطلان العمل عند الله تعالى[1]» - فكانت النار مصيرهم لأنهّم كفروا بالله تعالى ولم ينسبوا نعمه إليه تعالى، فالعُجب يؤدّي إلى الكفر بنعم الله من خلال عدم نسبتها إليه عزّوجلّ.

العُجب في السنة المباركة: لم تفترق السنّة المباركة عن القرآن الكريم في اعتبار العُجب من الأخلاق الذميمة وأنّه يهلك الإنسان في دنياه وآخرته. وقد عرّفته السنّة المباركة بتعاريف وبيّنت أسبابه وثمرته نتعرّف عليها من خلال [ميزان الحكمة ج٦، ص٤١ - ٥٤]:

حقيقة العُجب: ١ - قول الإمام الصادق عليه السلام: «**من لا يعرف لأحد الفضل فهو**

(١) القاموس المحيط (م.س) ص٦٠٩

المعجَب برأيه» فالإمام عليه السلام بيّن حقيقة العُجب الذي يصيب الإنسان حين يستعظم رأيه فلا يرى المزية لآراء الآخرين.

٢ - قال الإمام الكاظم عليه السلام: «**العُجب درجات: فيها أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ويحسب أنّه يحسن صنعاً ومنها أن يؤمن العبد بربّه فيمنّ على الله عزّوجلّ ولله عليه فيه**» المنّ. من درجات العُجب تزيين الإنسان عمله السيّئ إظهاره كصفة كمال له ويبقى مصرّاً عليه باعتبار أنّه يراه حسناً ثمّ ترقى درجة العُجب إلى مرحلة الإدلال على الله تعالى بأعماله الحسنة فيرى له منزلة وكرامة لا تكون لغيره فيعمل العمل مع المنّ على الله عزّوجلّ مع أنّ المنّة لله تعالى أن وفّقه للطاعات.

سبب العُجب: وأمّا سبب العُجب فهو الجهل وفساد العقل كما:

٣ - قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا جهل أضرّ من العُجب**» وذلك لأنّ الإنسان حين يجهل عظمة الله تعالى ويغفل عن نعمه عزّ وجلّ فيحصل له العُجب ويعظم عمله بينما حين يعلم بعظمة الله تعالى وأنّ النعم التي يتنعّم فيها الإنسان هي من صنع الله تعالى ومنسوبة إليه عزّوجلّ فسيرى أنّ عمله لا يسوى شيئاً مقابل نعم الله التي لا تعدّ ولا تحصى قال تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم/ ٣٤].

٤ - قال الإمام علي عليه السلام: «**رضاك عن نفسك من فساد عقلك**». ومن المعلوم أنّ فساد العقل يعني الجهل لأنّ العقل هو قابلية يميّز بها الإنسان الأشياء ويعرف بها الحقائق فإذا فسد عقله ولم يعمل العقل بحسب وظيفته في تمييز الأشياء أُبتلي الإنسان بالجهل ورضا الإنسان عن نفسه يغطّي على عيوبه فلا يبصرها حتّى يعالجها فيكون في الجهل وهذا ما يؤكّده:

٥ – قول الإمام علي عليه السلام: «**العجب رأس الجهل**».

وبناءً على هذا لا يصحّ اعتبار رضا الإنسان عن نفسه سبباً مستقلاً للعجب مقابل الجهل كما هو الملاحظ في كتاب البرنامج التعليمي للأخلاق والآداب الإسلامية(١).

ثمرات العُجب: من ثمرات العُجب:

أ – منع الكمال الديني والتقدّم العلمي للإنسان، كما:

٦ – يقول الإمام علي عليه السلام: «**الإعجاب يمنع من الازدياد**».

فالإنسان حين يستعظم عبادته فلا يستزيد منها وحين يستعظم علمه فلا يواصل البحث العلمي وحين يستعظم نفسه فلا يعمل اعتماداً على ما يشعر به من عظمة النفس فيمرّ العمر وهو في مكانه وهذا أمر محسوس في حياتنا اليومية.

ب – السقوط والهلاك:

٧ – ويقول الإمام علي عليه السلام: «**العُجب يوجب العِثار**» [والعِثار ما يؤدّي إلى السقوط حين يصطدم به الإنسان(٢)].

فالعُجب يشكّل للإنسان مطبّات يعثر بها فيسقط وهذا السقط نتيجة تعظيم نفسه وقد يكون السقوط مهلكاً للإنسان كما في:

٨ – قول الإمام الصادق عليه السلام: «**من دخله العُجب هلك**».

ج – البغضاء والوحدة، كما:

---

(١) البرنامج التعليمي للأخلاق والآداب الإسلامية: هيئة محمّد الأمين صلى الله عليه وآله، دار المحجّة البيضاء، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٢٢٢.

(٢) القاموس المحيط (م.س) ص٤٠٦.

٩ – يقول الإمام علي عليه السلام: «**ثمرة العُجب البغضاء**» لأنّ الإنسان المعجَب برأيه يحتقر الآخرين ويتكبّر فيولد في نفوسهم الحقد والبغضاء كما أنّه يعيش الوحدة في نفسه وهذه الوحدة وحشة كما في:

١٠ – قول الإمام علي عليه السلام: «**لا وحدة أوحش من العُجب**».

علاج العُجب: بعد أن يبتلى الإنسان بالعُجب كيف يتخلّص منه؟ والجواب أن ينظر إلى نفسه نظرة صحيحة فيعرفها على حقيقتها ولا يستعظمها ويبحث عن نقاط الضعف لديه ولا يتجاهلها ثمّ يتعرّف على بداياتها وأنّه مفتقر إلى الله تعالى في جميع أحواله وهذا ما:

١١ – قاله الإمام علي عليه السلام: «**إذا زاد عُجْبُك بما أنت فيه من سلطانك فحدثت لك أُبّهة أو مخيلة فانظر إلى عظيم ملك الله وقدرته ممّا لا تقدر فيه من نفسك فإنّ ذلك يلين من جناحك ويكفّ من غربك ويفيء إليك ما غرب عنك من عقلك**» فالإمام عليه السلام أراد للإنسان المعجَب برأيه وبنفسه أن يتذكّر عظمة الله وقدرته في الوقت الذي يعجز الإنسان عن فعل شيء فحينئذ يلين جناحه الذي كان به يطير فيهوى إلى الأرض ويكفّ عن الذهاب بعيداً ويعود ما ذهب من عقل المعجّب بنفسه.

١٢ – وقال الإمام الباقر عليه السلام: «**سدّ سبيل العُجب بمعرفة النفس**» فحين يتعرّف الإنسان على أخطائه ويسعى إلى تصحيحها يكون قد سدّ طريق العُجب وهو استعظام نفسه ولا سيّما أنّ الإنسان كما:

١٣ – قال الإمام علي عليه السلام: «**ما لابن آدم وللعُجب أوّله نطفة مَذِرة وآخره جيفة قذرة وهو بين ذلك يحمل العذرة**» والمَذِرة: القَذِرة[١].

(١) القاموس المحيط (م.س) ص٤٤١

فهو في كلّ أحواله لا يبتعد عن القذارة من مبدئه ومنتهاه وفي حياته. فعلى ما هذا الغرور والإعجاب بالنفس؟! وإذا كان المعجب بنفسه لا يعود إلى صوابه فعليه أن يتذكّر الآخرة وحسابها كما:

١٤ – يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إن كان الممر على الصراط حقّاً فالعُجب لماذا؟**» فمن يعتقد بيوم القيامة وإنّ هناك صراطاً يمرّ عليه الإنسان فلماذا يغترّ بنفسه؟! بل عليه أن يحتقر نفسه ويستقلّ العمل الذي قام به ويستزيد من طاعة ربّه ليمرّ على الصراط وينجو من العقاب فإنّ الصراط «جسر على جهنّم أحَدُّ من السيف وأدقّ من الشعرة وعليه عقبات كثيرة»(١) نسأل الله تعالى أن يعيننا على أنفسنا ويأخذ بأيدينا إلى الجنّة ورضوانه إنّه حميد مجيد وغفور رحيم.

---

(١) للتفصيل يراجع: كتاب حقّ اليقين في معرفة أُصول الدين: شبرّ عبدالله(ت١٢٤٢هـ)، منشورات الأعلمي، مط. العرفان، صيدا، ١٣٥٢هـ، ج٢، ص١٤٠ – ١٤٥.

البحث الثالث

الأخلاق في الأدب العربي

اهتمّ الأدب العربي بالأخلاق والآداب فدعا إلى التحلّي بالخُلُق الجميل والتمسّك بالأدب الرفيع وشدّد على اجتناب السيّئ من الفعل والقول حفظاً للشخصية الإسلامية فرداً ومجتمعاً في المجتمعات الإسلامية وابقاءً على القيم والخصال الحميدة وإن لم تكن المجتمعات إسلامية، فنجد في طيّات الأدب العربي بمختلف صنوفه وأساليبه الدعوة إلى الوفاء والصدق والخلق الجميل وغيرها والحثّ على نبذ الكذب والغدر وغيرهما. ولا يخفى ما للبيان العربي من تأثير في نفوس سامعيه فرُبَّ بيت شعر يتأثّر به السامع أكثر من تأثّره بالشرح الطويل حول خُلُق ما ورُبَّ مَثَل يردع المتلقّي عن خصلة ذميمة في الوقت الذي لا يستجيب فيه لحكم شرعي والنتيجة أنّ للشعر والنثر مكانة في القارئ فيتفاعل مع النصّ الأدبي أكثر من تفاعله مع النصّ الشرعي من آية أو حديث شريف ولا يمثّل هذا منقصة في النصّ الشرعي بل يمثّل حجم تفاعل المتلقّي واستجابته والمهم أن يستجيب الإنسان لنداء العقل بالامتناع عن الرذائل وبالتحلّي بالفضائل ليعيش الإنسان حياة هانئة مستقرّة. لقد حوت كتب الأدب العربي الكثير من شعر الحكمة والأخلاق والأدب والكثير من الحكم والأمثال والوصايا، فهناك الكلمات القصار للإمام أمير المؤمنين عليه السلام في آخر نهج البلاغة وهناك الحكم والمواعظ للنبي وآل البيت عليهم السلام في تحف العقول مثلاً وهناك مقصورة ابن دريد وقصيدة البستي وغيرهما في جواهر الأدب للهاشمي ونقتصر في بحثنا هذا على نماذج من الشعر والنثر مراعاة

للمنهج ومن باب التواصي بالحقّ لقوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر/ ٣] ولأنّ «**الحكمة ضالّة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق**» كما قال الإمام علي عليه السلام.(١)

وقال عليه السلام أيضاً: «**إنّ هذه القلوب تمل كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة**»(٢)

١ – للإمام علي عليه السلام في الشعر المنسوب له:

عليك ببرّ الوالدين كليهما ... وبرّ ذوي القربى وبرّ الأباعد

وكفَّ الأذى واحفظ لسانَك واتّق ... فديتُك في ودَّ الخليل المساعد

وكن واثقاً بالله في كلّ حادث ... يصنك مدى الأيّام من شرّ حاسد(٣)

أما والله إنّ الظلم شؤم ... ولا زال المسيء هو الظلوم

إلى الديّان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم(٤)

***

٢ – للمثقب العبدي (ت: ٥٨٧هـ) من شعراء الجاهلية:

لا تقولَنَّ إذا ما لم ترد ... أن تُتِم الوعدَ في شيء (نعم)

حَسَنٌ قول (نعم) من بعد (لَا) ... وقبيحٌ قول (لا) بعد (نعم)(٥)

***

(١) نهج البلاغة (م.س) الحكمة ٨٠، ص٣٦٤.
(٢) نهج البلاغة(م.س)الحكمة ١٩٧ ص ٣٨١.
(٣) جواهر الأدب: الهاشمي، أحمد، مط. المقتطف، مصر، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م، ص٦٦١.
(٤) جواهر الأدب (م.س) ص٦٦٠.
(٥) جواهر الأدب (م.س) ص٦٥٩.

٣ – لأبي الفتح البُستي (ت ١١٢٢هـ) من قصيدة طويلة في الأخلاق والحِكم منها:

أحسِن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسانُ
أَقبلِ على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ
مَـنْ يـتّـقِ الله يُحـمَـد في عواقبه ويكفّه شرّ من عزّوا ومن هانوا[1]

***

٤ – للشيخ علي الشرقي (ت ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م):

يـارامـي الشجر العالي بأكرته هلّا تعلّمت أخلاقاً من الشجر
ترميه بالحجر القاسي بلا خجل وإنّــه دائــماً يـرمـيـك بالثمر
قل للجآذر ظلماً أنـتِ من بقر إن ينسبوكِ وهذا الوحشُ من بشر
قُـدِّسـت مـن بـشر لـولا مجاملة لقلتُ في حقّه قُدِّسْتَ من بقر[2]

٥ – من وصيّة العلّامة الحلّي (٦٤٨ – ٧٢٦هـ) لابنه فخر المحقّقين[3]:

«فإنّي أُوصيك كما افترض الله تعالى عليّ من الوصية وأمرني به حين إدراك المنيّة:

أ – بملازمة تقوى الله تعالى فإنّها السُنّة القائمة والفريضة اللازمة والـجُنّة الواقية والعُدة الباقية وأنفع ما أعدّه الإنسان ليوم تشخص فيه الأبصار ويعدم عنه الأنصار.

---

(١) جواهر الأدب (م.س) ص٦٧٠.
(٢) ديوان الشرقي: الشرقي، علي (ت١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م) علي، جمع إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي، دار الحرّية، بغداد، ١٩٧٩م، ص٣٥٧.
(٣) قواعد الأحكام: العلاّمة الحليّ، الحسن بن يوسف(٦٤٨-٧٢٦هـ) منشورات الرضي، قم، ج٢، ص٣٤٦ – ٣٤٧.

ب – عليك باتّباع أوامر الله تعالى وفعل ما يرضيه واجتناب ما يكرهه والانزجار عن نواهيه.

ج – وقطِّع زمانك في تحصيل الكمالات النفسانية وصرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلمية....

د – ومساعدة الإخوان ومقابلة المسيء بالإحسان والمحسن بالامتنان.

هـ – وإيّاك ومصاحبة الأرذال ومعاشرة الجهّال فإنّها تفيد خُلُقاً ذميماً ومَلَكَةً ردية.

و – بل عليك بملازمة العلماء ومجالسة الفضلاء فإنّها تفيد استعداداً تاماً لتحصيل الكمالات...

ز – وعليك بالتوكّل والصبر والرضا وحاسِب نفسَك في كلّ يوم وليلة.

ح – وأكثِر من الاستغفار لربّك واتّق دعاء المظلوم....

ط – وعليك بصلاة الليل فإنّ رسول الله صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه حثّ عليها وندب إليها....

ي – وعليك بصلة الرحم فإنّها تزيد في العمر.

ك – وعليك بحُسن الخُلُق....

ل – وعليك بصلة الذرّية العلوية فإنّ الله تعالى أكّد الوصية فيهم وجعل مودّتهم أجر الرسالة والإرشاد فقال تعالى: ﴿ لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾ [الشورى/ ٢٣].

م – وعليك بتعظيم الفقهاء وتكريم العلماء....

ن – وإيّاك وكتمان العلم ومنعه من المستحقّين...

س – وعليك بتلاوة القرآن العزيز والتفكّر في معانيه... وتتبّع الأخبار المحمّدية والآثار المحمّدية والبحث عن معانيها...».

نسأل الله التوفيق لطاعته واجتناب معاصيه.

المبحث الثاني

المَنهجُ الإسلامي

فِي الأخْلاقِ واكتِسابِ الفَضائلِ

وفيه بحثان:

البحث الأوّل: المنهج الإسلامي في الأخلاق

البحث الثاني: المنهج الإسلامي في اكتساب الفضائل وفي علاج الرذائل

المنهج الإسلامي في الأخلاق

اتّخذ الإسلام منهجاً وسطاً في الأخلاق تختلف عن المذاهب الأخلاقية الأُخرى. وبعد استقراء سريع ونظرة خاطفة أمكن تقسيم المذاهب الأخلاقية إلى ثلاثة اتّجاهات بعد أن اتّفقت على أنّ الكمال والسعادة هي الغاية القصوى للإنسان وإنّما الاختلاف فيما يحقّق تلك السعادة وذلك الكمال الذي يسعى إليه الإنسان.

الأوّل: الاتّجاه العقلي

فهو يعتبر العقل هو الذي يحدّد الغاية في حياتنا وهو الباعث لنا والمحفّز على طلب الحياة السعيدة وترك الملذّات الزائلة وهو الذي يدعونا إلى الالتزام بأوامر الشرع أو العقل فيما يتّفق فيه مع الشرع كحسن العدل وقبح الظلم فإنّ الشرع أمرنا بالعدل ونهانا عن الظلم فعلى الإنسان أن يتصرّف وفق أوامر الشرع وقوانين العقل ليأمن من العذاب وينال السعادة في الدارين.

الثاني: الاتّجاه المادّي

فهو يهتمّ بالمادّة وأنّ لها التأثير في سلوك الإنسان فالمنفعة هي السعادة التي ينشدها الإنسان وهي الخير المطلق بينماعدم المنفعة والألم هو الشرّ المطلق فالأفعال الإنسانية لا تكون خيراً إلّا إذا حقّقت النفع مطلقاً وإذا جلبت ضرراً أو منعت من وصول النفع كانت تلك الأفعال الإنسانية شرّاً ولا فرق بين المنفعة الحسّية وبين المنفعة العقلية.

الثالث: الاتّجاه الصوفي

فهو يرى أنّ السعادة في الابتعاد عمّا يشغل بال الإنسان عن التفكّر وأنّ الكمال هو الوصول إلى مرحلة درك الحقائق ويكون التنكّر للمادّة بجميع مظاهرها والابتعاد عن ملذّات الدنيا هو العنوان البارز لهذا الاتّجاه وتعتبر المحبّة أصلاً لكلّ خير.

وهذه الاتّجاهات الثلاثة التي تمثّل المذاهب الأخلاقية لم تنفع في إصلاح الأخلاق الذميمة ولم تحلّ المشاكل الفردية والاجتماعية في الأخلاق ولكن الإسلام كانت له نظرة واقعية للأخلاق فربط بين الجانب العلمي والعملي في معالجة المشاكل الخلقية ونظر إلى الفرد وإلى المجتمع فاهتمّ بكليهما وحدّد الأخلاق المتعلّقة بهما وعالج ما يطرأ عليهما من مشاكل.

منهج الإسلام في الأخلاق:

ارتكزت نظرة الإسلام إلى الأخلاق على الركائز التالية:

١ - الفطرة.

٢ - الإلزام.

٣ - المسؤولية.

٤ - حرّية الإنسان في اختيار أفعاله.

٥ - جزاء العمل على قدر المسؤولية.

٦ - النيّة.

٧ - اقتران العمل بالإيمان.

١ – الفطرة:

يدرك الإنسان بواسطة الفطرة الخير والشرّ ويميّز بين الحسن والقبيح وذلك من خلال ما أودع الله تعالى في نفس الإنسان من القابلية على التمييز بين صحيح الأُمور وسقيمها فقال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس/ ٧-٨]، وقد تحدّثنا عن الفطرة في مقدّمة هذه المحاضرات تحت عنوان مصادر علم الأخلاق. وقد يطغى على هذه القابلية بعض الموانع والحجب كالعادة والبيئة والوراثة وغيرها فبعث الله الأنبياء يثيروا دفائن الفطرة ومسلّمات العقل السليم كما قال الإمام علي عليه السلام عن مهمّة الأنبياء «**ويثيروا لهم دفائن العقول**»[١]، أي ينبّهوا الناس إلى ما أودعه الله تعالى في نفوسهم من التمييز بين الصالح وغيره.

٢ – الإلزام:

حين يدرك الإنسان القضايا المتعلّقة بقبح الأشياء وحسنها وأنّ هناك قوانين ترعى مصالحه يشعر بأنّه ملزم بتنفيذها ولا يمكنه تجاهلها وهذا ما أشار إليه قوله تعالى ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ [القيامة/ ١٤ – ١٥] فالإنسان ملزم بتطبيق ما أدركه من القوانين والقواعد الأخلاقية. وكان من أساليب القرآن في معالجة بعض الأخلاق الفاسدة كالغيبة أن أشار إلى صورتها القبيحة وهي أن يأكل الإنسان لحم أخيه الميّت وهذه الصورة ينفر منها الإنسان كما تمثّل اعتداءً على الميّت وظلماً لأخيه فيجب اجتنابه فقال تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات/ ١٢].

(١) نهج البلاغة (م.س) خ١،ص١٠.

٣ – المسؤولية:

تعني أنّ الإنسان يتحمّل مسؤولية عمله ويدفع ضريبة تصرّفه، قال تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم/ ٣٩]. أي للإنسان نتيجة عمله وجزاء سعيه في الحياة الدنيا وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [الإسراء/ ١٥] والوزر هو الإثم أي لا يؤاخذ أحد بذنب غيره فكلّ واحد مسؤول عن عمله إن خيراً فخير وإن شرّاً فشر.

٤ – حرّية الإنسان في اختيار أفعاله:

نعتقد كأتباع أهل البيت عليهم السلام أنّ الإنسان غير مجبور في اختيار أفعاله الإرادية فهي تصدر منه بإرادته واختياره فالإنسان حين يصلّي أو يشرب الخمر مثلاً يفعل ذلك باختياره لهذه الفعل وليس مجبوراً على فعله من خلال أنّ أفعاله بل أنّ الله تعالى خلق فيه الحياة وأعطاه القدرة فالأفعال الصادرة عن الإنسان منسوبة إلى الله تعالى من جهة إنّه تعالى خلق الإنسان وأعطاه القدرة ومنسوبة إلى الإنسان نفسه من جهة أنّه اختار هذا الفعل وبإرادته وهذا ما يسمّى في علم الكلام بالأمر بين الأمرين وإذا كان الإنسان مختاراً في فعله فيحاسب على عمله وأمّا إذا كان مجبوراً فلا يصحّ عقابه بل يكون ظلماً والظلم قبيح والله تعالى لا يفعل القبيح ويراجع في هذه المسألة كتب علم الكلام.

قال الله تعالى: ﴿ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب/ ٥٤] فالصفات الأخلاقية الحسنة منها والذميمة الظاهرة والباطنة يعلم بها الله تعالى لأنّه تعالى عالم بكلّ شيء وبموجب اختيار الإنسان لفعله يحاسبه الله تعالى فالأخلاق الحميدة يحبّها الله تعالى ويثيب عليها حين تبرز من خلال فعل ما كما أنّ الله تعالى يذمّ الأخلاق السيّئة ويعاقب عليها إذا برزت ضمن فعل ما، فالكرم يحبّه الله تعالى ويثيب عليه إذا وسّع على عياله مثلاً بينما البخل يذمّه الله تعالى ويعاقب على بخل

الإنسان حين يمنع الحقوق الشرعية ولا يعطيها إلى أهلها مثلاً.

فعن الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: «**السخي الحَسَن الخُلُق في كنف** [الحرز والستر] **الله، لا يتخلّى الله عنه حتّى يدخله الجنّة**»[1] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران/ ١٨٠].

٥ - الجزاء على قدر المسؤولية:

كلّ عمل يفعله الإنسان له جزاؤه عند الله بحسب حجم المسؤولية التي يتحمّلها الإنسان فبعض الأعمال يكون الجزاء عليها الشعور الداخلي بالارتياح إن كان الفعل حسناً والشعور الداخلي بالحسرة إن كان الفعل سيّئاً ومنه ما يسمّى بتأنيب الضمير حين يصدر من الإنسان فعل سيّئ وقد يكون الجزاء أُخروياً فبالجنّة في العمل الحسن وبالنار في العمل السيّئ وقد يكون الجزاء دنيوياً بتوسعة الرزق مثلاً في صلة الرحم وبإقامة الحدّ في بعض الأعمال كشرب الخمر والسرقة.

٦ - النيّة:

فكلّ عمل لابدّ من نيّة فإذا كانت نيّته خالصة لله تعالى أُثيب على فعله وإلّا فلا قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البيّنة/ ٥].

٧ - اقتران العمل بالإيمان:

فإذا خلا العمل الصالح عن الإيمان فلا ثواب عليه قال تعالى: ﴿ لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [سبأ/ ٤] فالخصال

(١) تحف العقول (م.س) ص٣٠٤.

الحميدة التي يتّصف به الإنسان يُثاب عليها بالجنّة ويغفر له مع وجود الإيمان بالله تعالى وصفاته وبالرسالة وبالإمامة والمعاد. فالإسلام تعامل مع الأخلاق وفق هذه المرتكزات السبعة فلحظ الفرد والمجتمع والإيمان ليخلص إلى نتيجة أنّ القيمة الأخلاقية لأي خصلة تتحدّد وفق مراعاة الاعتدال فلا إفراط ولا تفريط توصّلاً للسعادة الفردية والمجتمعية في الدنيا والآخرة.

وهذا ما نلحظه من خلال تأكيد القرآن الكريم على التقوى في حياة الإنسان والتقوى تعني القيام بالوظيفة الشرعية من فعل الواجبات وترك المحرّمات بعد الإحساس بمراقبة الله تعالى في كلّ حركتنا ولا تقتصر الحركة على علاقة الإنسان مع ربّه بل تشمل علاقة الإنسان مع مجتمعه ومع نفسه ولابدّ في التقوى من العمل الصالح قال تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ [الشعراء/ ١١٠] ولابدّ في أي عمل يقوم به الإنسان من النيّة الخالصة لربّه عزّوجلّ فإذا اقترن العمل الصالح بالنيّة الخالصة مع العقيدة الصحيحة صار الإنسان من الأبرار ومن الصالحين فتفيض عليه رحمة ربّه ويصبح دائم المراقبة لنفسه فيكون عادلاً تتحكّم فيه ملكة العدالة فبعد أن كانت العدالة قابلية في مراحلها الأُولى وتعني الاستقامة في طريق الشريعة تصبح قابلية راسخة في نفس الإنسان بحيث يضبط أفعاله وأحاسيسه وعواطفه وفق الميزان الشرعي وهو مراعاة رضا الله تعالى في السرّ والعلن ليفوز بالنعيم الدائم في الآخرة. نسأله تعالى التوفيق لطاعته وترك معاصيه[1].

---

(١) للتوسعة ينظر:

١ – مواهب الرحمن: السبزواري(م.س) ج٢، ص٣٠٤ – ٣١٢.

٢ – فلسفة الأخلاق في الإسلام: محمّد جواد مغنية(م.س).

٣ – دستور الأخلاق في الإسلام د. محمّد عبدالله دراز(م.س).

المنهج الإسلامي في اكتساب الفضائل وفي علاج الرذائل

اهتمّ الإسلام بالتقوى كما تحدّثنا عنها ضمن أخلاق الإنسان مع ربّه في بحث الأخلاق في الكتاب العزيز فهي الطريق العملي لاكتساب الفضائل وإزالة الرذائل كما أنّ التعلّم لأُمّهات الأخلاق الفاضلة والاطّلاع على الأخلاق الذميمة ينفع الإنسان في التحلّي بالفضائل والتخلّي عن الرذائل فالأساس في عمليتي اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل هو العلم والعمل وهذا ما يتّضح معالمه ضمن ركيزتين:

الركيزة الأُولى: العلم.

الركيزة الثانية: العمل.

الركيزة الأُولى: العلم

لابدّ في عمليتي التحلّي بالفضائل والتخلّي عن الرذائل من الاطّلاع على حقيقة الفضيلة وأنواع الفضائل وكذا الاطّلاع على حقيقة الرذيلة وأنواع الرذائل، فإنّه قد تنقلب الموازين وتضيع المقاييس نتيجة الجهل. وممّا تقدّم معنا اتّضح لنا بشكل إجمالي الميزان في الفرق بين الفضائل والرذائل وأنواعها ولذا ينبغي على العاقل أن يطالع كتب علم الأخلاق ويقرأ كتب التفاسير والأخبار ليطّلع على الفضائل فيمارسها ويطّلع على الرذائل فيجتنبها ويعرف الفرق بينهما. ويرى الآثار المترتّبة على كلّ من الفضيلة

والرذيلة فتكون حافزاً لممارسة الفضيلة ردعاً عن ممارسة الرذيلة ومن خلال المطالعة والتعلّم يطّلع على سيرة الأنبياء والمعصومين والعلماء والأولياء فيقتدي بهم وكذا يطّلع على حياة العصاة والجبّارين فيأخذ العبرة ويرتدع عن المعصية ويتخلّى عن الرذائل التي كان أُولئك العصاة يمارسونها فإنّ القدوة الحسنة تؤثّر في الإنسان العاقل وتحفّزه إلى الفضيلة وأخذ العبرة من حياة الماضين تمنع الإنسان من السقوط نحو الرذيلة مهما كانت تلك الفضيلة وتك الرذيلة. ولذا نجد القرآن الكريم يقول: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٢١] فالاقتداء برسول الله ﷺ نافع لمن كان يريد الجنّة يوم الآخرة وكان يذكر الله تعالى بقلبه وبلسانه وفي كل أحواله.

فإن ذكر الله تعالى يمنع يمنع الإنسان من المعصية ويحفّزه على الطاعة. ويقول تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [يوسف/ ١١١] فمن يفكر في مصير الفراعنة العصاة يرتدع عن ممارسة المعصية.

وأما الركيزة الثانية: العمل

وهو الممارسة للفضيلة مرة بعد أخرى لتتركز في النفس فتصبح خُلُقاً مستقراً في نفس الإنسان وكذا الترك للرذيلة مرة بعد أخرى يصبح أمراً ثابتاً في نفس الإنسان فلا تقبل بعد ذلك على المعصية من الأعمال ولا على الرذيلة من الأخلاق.

فمن كان لديه خصلة مذمومة يحاول في الممارسات اليومية ان يفعل خلافها فالبخيل يعوّد نفسه على الكرم والمتكبّر يتعوّد على التواضع حتى تصبح لديه خصلة الكرم والتواضع كلما كثرت الممارسات للفضائل وكثر الامتناع عن فعل الرذائل حصلت له العدالة وبدوره يتكامل الإنسان يوماً بعد يوم حتى من المخلصين في طاعة

ربه تعالى ومن المقربين إلى رحمة الله تعالى ويكون مشمولاً برعاية الله تعالى له في الدار الدنيا وبرضوان الله تعالى في الدار الآخرة.

وهذا ما أكّدت عليه الاية الشريفة: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل/ ٩٧] فالحياة الطيبة التي يحييها المؤمن تكون في الحياة الدنيا من خلال المعيشة بالمستوى الذي يحفظ بها الإنسان نفسه وماء وجهه وتكون في الحياة الأخرى من خلال الفوز بالجنة.

والحياة الطيبة في الدارين هي ما يأمله كل إنسان عاقل مؤمن بربه تعالى وبالعقائد الحقة ويعمل العمل الصالح ويجتنب العمل السيئ. نسأل الله تعالى التوفيق إلى طاعته وتجنب معاصيه.

وبهذا القدر نختم (محاضرات في علم الأخلاق) للمرحلة الأولى سائلين الله تعالى القبول والمزيد من فضله والتوفيق للكتابة مفصلاً وللمراحل اللاحقة أنه تعالى ولي التوفيق.

محمد هادي السيد محمد رضا

الموسوي الخرسان

الإثنين ٢١/ ربيع الثاني/ ١٤٢٦هـ

بيروت ٣٠/ أيار/ ٢٠٠٥م

المصادر

القرآن الكريم

١.الأخلاق : شبر، عبد الله(ت١٢٤٢هـ) تدق. جواد شبر، دار المرتضى، بيروت، ط٥، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢.أخلاق الإمام علي عليه السلام : الخرسان، محمد صادق، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٣.أخلاق أهل البيت عليهم السلام: الصدر، مهدي، مؤسّسة النعمان، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.

٤.أساس البلاغة: الزمخشري، محمود بن عمر، (ت: ٥٣٨هـ / ١١٤٤م)، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٥.الأُصول الستّة عشر مجموعة من المحدّثين، دار الشبستري قم، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٦.إعلام الدين في صفات المؤمنين: الديلمي، حسن (ق، ٨هـ)، تح، مؤسّسة أهل البيت، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

٧.البرنامج التعليمي لأخلاق والآداب الإسلامية: هيئة محمد الأمين صلى الله عليه وآله دار المحجة البيضاء، بيروت، ط١،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٨.التبيان في تفسير القرآن: الطوسي، محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ) تح. أحمد حبيب

قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٩. تحف العقول، ابن شعبة (ق٤هـ)، تق. محمّد حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٥.

١٠. تفسير الصافي: الكاشاني، محسن(ت١٠٩١هـ)، مط، آرمان، طهران، ١٤١٥هـ.

١١. التوحيد: الصدوق، محمد بن علي (ت٣٨١هـ) تح. هشام الحسيني، جماعة المدرسين، قم.

١٢. تهذيب الأخلاق: ابن مسكويه، أحمد، (ت: ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م)، تق. حسن تميم، ط٢، دار الحياة، بيروت.

١٣. جامع السعادات: النراقي، محمّد مهدي(ت ١٢٠٩هـ)، تق. محمّد رضا المظفّر، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٦، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م

١٤. جواهر الأدب: الهاشمي، أحمد، مط. المقتطف، مصر، ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م.

١٥. حقّ اليقين في معرفة أُصول الدين: شبّر، عبدالله(ت١٢٤٢هـ)، منشورات الأعلمي، مط. العرفان، صيدا، ١٣٥٢هـ.

١٦. الخصال، الصدوق، محمد بن علي، (ت: ٣٨١هـ)، تح، علي أكبر الغفاري، جماعة المدرّسين، قم .

١٧. دروس إسلامية، الحلقة ٤٣ – ٤٤، دار التوحيد، الكويت، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

١٨. دروس في العقيدة والأخلاق: النفّاخ، حسن، دار الإسلام، لندن.

١٩.دستور الأخلاق في القرآن، دراز، د. محمّد عبدالله، تح، د. عبدالصبور شاهين، مؤسّسة الرسالة، ط٦، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢٠.ديوان الشرقي، الشرقي، علي، جمع إبراهيم الوائلي وموسى الكرباسي، دار الحرّية، بغداد، ١٩٧٩م.

٢١.الرحلة المدرسية البلاغي، محمّد جواد، دار المرتضى، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م.

٢٢.شرح الأربعين النبوية، الجلالي، محمّد حسين، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٣.الشفاء، قسم الإلهيات، ابن سينا، (ت: ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م)، تقديم د. إبراهيم مدكور.

٢٤.وصحيح البخاري، البخاري،محمد بن اسماعيل، (ت٢٥٦هـ) دار الفكر، بيروت.

٢٥.الصحيفة السجّاديّة، الإمام عَلِيِّ بْن الْحُسَين زَيْنِ العَابدِين، منشورات الهادي، قم، ط١٤١٨،١هـ.

٢٦.الطفل في الشريعة الإسلامية ومنهج التربية النبوية، سهام مهدي جبّار، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، (ت: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م).

٢٧.عدّة الداعي لابن فهد الحلّي، (ت: ٨٤١هـ)، تصح. أحمد الموحّدي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٨.العمل في الإسلام ودوره في التنمية الاقتصادية، محمّد هادي الخرسان، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

٢٩.العين: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، تح. د. المخزومي والسامرائي مكتبة أُسوة، قم، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٠.فرائد الأخلاق، الحسني، عبدالصاحب، دار المرتضى، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

٣١.فلسفة الأخلاق في الإسلام، مغنية، محمّد جواد، دار الجواد، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٢.في ظلال القرآن، قطب، سيّد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

٣٣.القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ت: ٨١٦هـ)، تق. محمّد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٣٤.قواعد الأحكام، العلّامة الحلّي، حسن بن يوسف(ت٧٢٦هـ)، منشورات الرضي، قم.

٣٥.الكافي، الكليني،محمد بن يعقوب، تصحيح، علي أكبر الغفاري، دار صعب، بيروت،ط٤ ١٤٠١هـ.

٣٦.الكشّاف، الزمخشري، محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ)، مكتب الإعلام الإسلامي.

٣٧.كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلّامة الحلّي،الحسن بن يوسف(ت٧٢٦هـ) مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٣٨.لسان العرب، ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، دار المعارف.

٣٩.مجمع البحرين، الطريحي، للشيخ فخر الدين(ت١٠٨٥هـ) تح، السيّد أحمد

الحسيني، مكتبة المرتضوية، طهران، ط٣، ١٣٧٥هـ . ش.

٤٠.مجمع الفائدة والبرهان للمحقق الأردبيلي، أحمد (ت٩٩٣ هـ) جماعة المدرسين، قم، ١٤٠٤هـ.

٤١.مسند أحمد : بن حنبل،أحمد(ت١٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت.

٤٢.معاني الأخبار، الصدوق، محمد بن علي(ت٣٨١هـ) تح، علي أكبر الغفاري، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤٣.معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية،القاهرة - طبع ايران، ١٣٦٣هـش .

٤٤.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبدالباقي، محمد فؤاد، دار الجيل، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٥.مفردات الراغب، الأصفهاني، حسين بن محمّد (ت:٥٠٢ هـ)، تح. نديم مرعشلي، بيروت، دار الفكر.

٤٦.مفهوم العبادة في القرآن الكريم، بحث تمهيدي لمرحلة الماجستير في الدراسات الإسلامية، الخرسان، محمّد هادي، مخطوط، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

٤٧.مقاييس اللغة ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤٨.المنطق، المظفر، محمد رضا، (ت ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م) دار التعارف، بيروت،ط٣، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٤٩.من لا يحضره الفقيه، للصدوق، محمد بن علي(ت٣٨١هـ)، تح. السيّد حسن الموسوي الخرسان، دار صعب، بيروت.

٥٠.من هدي النبي صلى الله عليه وآله والعترة عليهم السلام في تهذيب النفس وآداب العشرة، البهادلي، أحمد كاظم، شركة حسام، بغداد، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٥١.مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السبزواري، السيّد عبدالأعلى (ت١٤١٤هـ)، (د.ت)، ط . النجف.

٥٢.موسوعة أخلاق القرآن، الشر باصي، د. أحمد، دار الرائد العربي، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥٣.ميزان الحكمة، الري شهري، محمّد، الدار الإسلامية، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٦م، ج٦.

٥٤.نور الحقيقة ونور الحديقة، الحارثي، حسين عبدالصمد، (٩٨٥هـ)، تح. محمّد جواد الجلالي، مؤسّسة النور، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م

٥٥.النهاية في غريب الحديث والأثر :ابن الأثير، تح. أحمد الزاوي ومحمود محمّد الطناحي، مؤسّسة إسماعيليان، قم. ط٤، ١٣٦٧هـ. ش.

٥٦.نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام،جمعه الشريف الرضي،(ت٤١٣هـ) شرح محمد عبده.

أ.الدار الإسلامية ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

ب. دار التعارف، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٥٧. وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، محمد بن الحسن(ت١١٠٤هـ)، تح، مؤسّسة آل البيتعليهم السلام، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

فهرس المحتويات

مقدمة الناشر ٣

المقدّمة ٩

أوّلاً: ١ – الأخلاق لغةً: ٩

٢ – الأخلاق اصطلاحاً: ٩

٣ – أسباب وجود الخُلُق: ١٠

٤ – علم الأخلاق في الاصطلاح: ١١

ثانياً: موضوع علم الأخلاق والغاية منه. ١٢

ثالثاً: مصادر علم الأخلاق: ١٢

رابعاً: علم الأخلاق النظري والعملي ١٩

خامساً: الأخلاق والآداب: ٢٠

سادساً: الأخلاق وتهذيب النفس: ٢٠

سابعاً: الأخلاق والتربية ٢٤

المبحث الأوّل/ الاخلاق في القرآن الكريم والسنة المباركة والأدب العربي ٢٥

البحث الأول : الأخلاق في القرآن الكريم ٢٧

أوّلاً: أخلاق الإنسان مع الله تعالى: ٣١
ثانياً: أخلاق الإنسان مع النفس: ٣٩
ثالثاً: أخلاق الإنسان مع المجتمع ٥٢
البحث الثاني: الأخلاق في السنّة المباركة ٧٥
تمهيد ٧٥
المحور الأوّل: العناوين العامّة للأخلاق ٧٩
المحور الثاني: العناوين الخاصّة ٩٣
أوّلاً: أخلاق الإنسان مع الله تعالى – التوكّل على الله – نموذجاً. ٩٥
ثانياً: أخلاق الإنسان مع النفس – الحِلْم – نموذجاً. ٩٩
ثالثاً: أخلاق الإنسان مع المجتمع – التواضع – نموذجاً. ١٠٣
البحث الثالث: الأخلاق في الأدب العربي ١١٥
المبحث الثاني / المنهج الإسلامي في الأخلاق واكتساب الفضائل ١٢١
البحث الأوّل: المنهج الإسلامي في الأخلاق ١٢٣
الأوّل: الاتّجاه العقلي ١٢٣
الثاني: الاتّجاه المادّي ١٢٣
الثالث: الاتّجاه الصوفي ١٢٤
منهج الإسلام في الأخلاق: ١٢٤
البحث الثاني: المنهج الإسلامي في اكتساب الفضائل وفي علاج الرذائل ١٢٩

الركيزة الأُولى: العلم ١٢٩

وأما الركيزة الثانية: العمل ١٣٠

المصادر ١٣٣

فهرس المحتويات ١٤١